الدكتورة

ليلى زكى قطب

كلية الدراسات الاسلامية والعربية
جامعة الأزهر — فرع البنات

تهافت قضية التجسد في العقيدة النصرانية

الناشر
دار الكتاب الجامعى
٨ ش سليمان الحلبى ـ التوفيقية ـ القاهرة

مطبعة الفجر الجديد
٣٨ شارع الكبازى ـــ منشية ناصر



(لقــد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم .
قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وامه ومن فى الأرض جميعا ولله ملك السمــوات والأرض
وما بينهما يخلق ما يشـــاء والله على كل شىء قدير) .

صدق الله العظيم

[سورة المائدة آية ١٧]

تقديم الكتاب

للاستاذ الدكتور / عبد السلام محمد عبده وكيل كليـــة الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ورئيس قسم العقيدة والفلسفة بالكلية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن إهتدى بهديه إلى يوم يبعثون .

وبعـــد

فلقد جاء الإسلام بأسمى عقيدة ربطت الخلق بالحق برباط الطاعة والولاء بقدر ما ربطت الخلق بالخلق برباط الأخوة . وخرجت كتائب الموحدين من شبه الجزيرة العربية فدمرت عرش الكسروية الباغية فى بلاد فارس والعراق كما دمرت القيصرية الطاغية فى بلاد الشام ومصر ثم وهبت الجماهير الكادحة حرية أفقدتها إياها عوامل القسر والقهر والجبروت .

وما إن خرج المسلمون بدينهم واحتكوا بغيرهم من أرباب الديانات الأخرى حتى وجدت محاولات فكرية رهيبة كان النصارى فيها يحاولون إثارة الشبهات حول الإسلام فكان الواجب يحتم على المسلمين أن يدافعوا عن دينهم فكان من حصاد ذلك العديد من المؤلفات الضخمة التى أبرزت الكثير من سمات الإسلام بقدر ما فضحت طوايا خصومهم .

ولقد أحسنت الدكتورة الفاضلة ليلى قطب صنيعا إذ أثارت قضية

التجسد فى العقيدة النصرانية وبينت تهافتها ولا طريف فى ذلك فالدكتورة بادية الذكاء غزيرة العلم شديدة الحرص على بيان معالم الحق غيورة على دينها كما أنها متخصصة واعية فقد أعدت رسالة الدكتوراه عن « الوحى فى الأديان الثلاثة الإسلام — والمسيحية — واليهودية »..

كما نشرت مجلة أكتوبر فى عددها الصادر فى يناير سنه ١٩٨٢ تفصيلا عن منهج الدكتورة فى رسالتها ومدى ما فى الرسالة من جدية وابتكار كما تعد تحت الطبع الآن مزاعم المستشرقين حول القرآن الكريم وردها .

وللدكتورة جهودها الواضحة فى عرض حقائق الإسلام ورد أباطيل خصومه فى الجامعة فى قاعات الدراسة وفى المحافل العامة وفى الصحف والمجلات . وفق الله باحثتنا هذه وأجزل لها المثوبة والأجر .

الدكتور عبد السلام محمد عبده
وكيل كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات
ورئيس قسم العقيدة والفلسفة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلى الأنبياء السابقين ومن تبعهم بخير إلى يوم الدين .

« من كانت له أذنان فليسمع » .

صيحة نذير استعلن من خلالها الخطر المحدق والتآمر على الإسلام من الداخل والخارج ، صيحة نذير أنبه بها عن الأسلوب الخبيث الذى يتبع فى أيامنا هذه والذى يستهدف تطويق الإسلام وذلك بإظهار الاهتمام من أعداء الإسلام بالإسلام وذلك بعقد مؤتمرات مشبوهة يشترك فى عقدها مسلمون ونصارى وذلك بغرض التوفيق بين الإسلام والنصرانية .

كتبت بحثى هذا لأوضح لجيلنا المعاصر كيف يتم التوفيق بين التوحيد والتثليث ، كيف يتم التوفيق بين ما نزل من السماء ومانبع من أفكار بولس والمجامع .

وصدق الله العظيم (ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن إستطاعوا) .

كيف يتم التوفيق بين الإسلام والنصرانية ، والنصارى أنفسهم لم يتفقوا فى أهم عقائدهم وهى طبيعة المسيح ولو توجهت إلى أى نصرانى على وجه الأرض وطلبت منه أن يصور لك حقيقة دينه وما يعتقده فى طبيعة المسيح لما إستطاع ذلك لأن الأولين لم يتفقوا على صيغة واحدة تحدد طبيعة المسيح وعلاقته بالله أو الروح القدس فكيف يتفق نصارى هذا العهد على مثل هذه الصفة .

ولهذا كتبت هذا البحث الموجز عن أهم العقائد عند النصارى التى لم

يتفقوا عليها ، هي التجسد وكانت مصادري في هذا البحث كتب التوراة التي بين يدي القوم الآن ، والأناجيل الأربعة وكتب القسسين وعلماء النصارى وكتب علماء المسلمين .

ولقد جاء هذا البحث في بابين وخاتمة تكلمت في الباب الأول عن طرق الوحي في العهد القديم حيث أن النصارى يقرون بها كلها .

وقد جاء هذا الباب في فصلين تكلمت في الفصل الأول عن الوحي المطبوع وهو في نظر النصراني إعلان إرادة الله وقصده والكشف عن حقيقته في مواقف تاريخية صريحة بتدخله الإلهي في سير الحوادث وتوجيهها .

ولقد جاء الوحي تدريجياً بصور إعلانات ورؤى وأقوال شفوية ما بين آدم وموسى حتى بدأ الوحي المكتوب بنزول التوراة على موسى وهو الذي تعرضت له في الفصل الثاني .

وفي الباب الثاني تعرضت لعقيدة التجسد في المسيحية ووضحت أن النصارى يعتقدون أن الله أعلن نفسه ونزل من السماء وحل في عيسى لكي يراه الناس بذاته ويروه عيانا وعن قرب بعد أن ظل فترة طويلة يتراءى لهم في المنام أو يكلمهم من وراء حجاب .

ولقد جاء الباب الثاني في ثلاث فصول تكلمت في الفصل الأول عن كيفية حلول اللاهوت في الناسوت وشبه النصارى على ألوهية عيسى وهي شواهد من العهدين القديم والجديد وولادة عيسى غير الطبيعية .

وفي الفصل الثاني أبطلت أدلة النصارى في دعوى التجسد بأقوال علماء ومفكري النصارى ونصوص من العهدين القديم والجديد بالرغم مما وقع فيهما من أغلاط وتحريفات ، ولكن هذا التحريف لم يشمل التوراة كلها أو

الإنجيل كله بل إعترف بتحريف البعض دون الكل فإنه يوجد فيها بعض كلمات من إلى رلمات خاطفة من الحكمة تتألق كالماس يجدها قارىء التوراة والإنجيل غارقة فى خضم من التشويش والأكاذيب .

ولقد أبطلت دعواهم هذه أيضاً بآيات من القرآن الكريم وأقوال مفكرى وعلماء المسلمين .

وفى الفصل الثالث تعرضت لعقيدة الصلب وأثبت أن عملية صلب عيسى ماهى إلا ضلالة إبتدعوها وهم لفى شك فى شخص المصلوب ومالهم به من علم إلا إتباع الظن ، وكان سندى فى ذلك ما ورد فى كتبهم المقدسة وما جاء به القرآن الكريم .

وفى الخاتمة أبطلت دعوى النصارى بعدم وجود إنجيل مع عيسى أو لم ينزل عليه إنجيل حيث يرون أن الإنجيل هو البشارة والمسيح هو هذه البشارة بل هو كلمة الله والكلمة المتجسدة أكثر وقعاً على النفس من الكلمة المكتوبة على الورق ، ولقد بينت لهم أن عيسى نزل عليه كتاب وهذا الإنجيل لا يتضمن أحكاماً ولا يستنبط حلالا ولا حراما ولكنه رموز وأمثال ومواعظ وزواجر وما سواها من الشرائع والأحكام فحالة إلى التوراة .

وبعد — فتلك هى محاولتى قدمتها على قدر ماتيسر لى من الجهد والوقت وبحسب ما وهبنى الله من التوفيق وادعوا الله قائلا (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا . وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) صدق الله العظيم .

الباب الأول

طرق الوحى فى العهد القديم

الفصـــل الأول

الوحى المطبوع

الوحى المطبوع :

الوحى فى نظر المسيحى هو إعلان إرادة الله وقصده والكشف عن حقيقته فى مواقف تاريخية صريحة بتدخله الإلهى فى سير الحوادث وتوجيهها .

يقول القمص مشرق « لقد جاء إعلان الحق تدريجياً بواسطة إعلانات ورؤى وأقوال شفوية فى عصور الآباء ما بين آدم وموسى حين بدأ الوحى المكتوب وهو يفوق بالطبع بما لا يقاس الإعلانات الشفوية التى سبقته مع التسليم بصحة هذه الإعلانات »[1] .

فالمسيحيون يقررون أن طرق الوحى كثيرة ومتنوعة وتنقسم إلى قسمين وحى مطبوع ووحى مكتوب .

والوحى المطبوع : هو الوحى الذى يتم بواسطة إعلانات ورؤى وأقوال شفوية ، فقد ذكرت التوراة أن أمانة الحق كانت تنتقل عبر القرون من آدم إلى موسى عليه السلام بطريق التسليم الشفاهى وكان مصدر الإيمان هو التقليد الوراثى المعتمد على الإعلانات الشفوية والرؤيا المنامية والتسليم الشفاهى للحوادث والتعاليم على مدى الأجيال الأولى المتعاقبة قبل التدوين الكتابى . فلقد كان الإيمان أولا شفوياً عن طريق التقليد عبر الأجيال الأولى إذ لم يكن هناك شىء مكتوب . وينقسم الوحى المطبوع إلى الأقسام التالية :

(١) القمص مشرق : مصادر الكتاب المقدس ص [illegible]

(أ) المشافهة :

ذكرت التوراة أن المشافهة تتم عن طريق تحيز الله وحلوله فى مكان معين بالنسبة للأنبياء أو الصالحين ليعلن لهم مشيئته باللغة التى يفهموها ويخاطبهم فما إلى فم وعيانا بغير حجاب .

فالله ظهر وتجسد لكثير من الآباء الأولين لليهود من عهد آدم وحتى موسى عليه السلام بصور شتى فتراه مرة تصوره التوراة على شكل إنسان أو على شكل عامود دخان وغيرها من الصور المجسدة ليكلمهم ويبلغهم ويوحى إليهم الكثير من الحقائق عنه .

فالله كلم آدم وعلمه الوصايا التى يميز بها ما ينفعه وما يضره شفاهة وفما لفم .

« وأخذ الرب الإله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الإله آدم قائلا من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » (تك ٢ : ١٥ : ١٧) .

ويدعى كتبة أسفار العهد القديم أن كلام الله إلى آدم وزوجه كان ذا صوت محسوس تعيه آذان البشر .

« وسمعا صوت الرب الإله ماشيا فى الجنة . عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت . فقال سمعت صوتك فى الجنة . فخشيت لأنى عريان فاختبأت فقال من أعلمك أنك عريان . هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت . فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذى فعلت . فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت » (تك ٣ : ٨ : ١٣) .

وظهر الله لإبراهيم وإسحق ويعقوب .

« واجتاز أبرام فى الارض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة . وكان الكنعانيين حينئذ فى الأرض . وظهر الرب لإبرام وقال لنسلك أعطى هذه الأرض » (تك ١٢ : ٦ : ٧) .

« ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له أنا الله القدير » (تك ١٧ : ١) .

« وكان فى الأرض جوع غير الجوع الأول الذى كان فى أيام إبراهيم . فذهب إسحق إلى ابيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرارة . وظهر له الرب وقال لا تنزل إلى مصر » (تك ٢٦ : ١ : ٢) .

« ثم صعد من هناك (أى إسحق) إلى بئر سبع فظهر له الرب فى تلك الليلة وقال أنا إله إبراهيم أبيك لا تخف لأنى معك » (تك ٢٦ : ٢٣ : ٢٤) .

« فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركنى . فقال له ما إسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى إسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال أخبرنى باسمك فقال لماذا تسأل عن إسمى وباركه هناك . فدعى يعقوب إسم المكان فنيئيل قائل لأنى نظرت الله وجهاً لوجه » (تك ٣٢ : ٢٤ : ٣٠) .

وجاء أيضاً فى سفر الخروج : أن موسى وهارون وناداب وأبيهوا وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا الله » (خر ٢٤ : ٩) .

وكلم الله مريم وهارون « وتكلمت مريم وهارون على موسى بسبب

المرأة الكوشية التى إتخذها لأنه كان قد إتخذ إمرأة كوشية فقالا هل كلم الرب موسى وحده ألم يكلمنا نحن أيضا فسمع الرب » (عد ١٢ : ١ : ٢) .

إذن فالله يظهر للأنبياء جهاراً ويكلمهم متصفاً بالصفات البشرية فى أغلب الأحيان أو فى شكل نار أو عمود دخان . وهذا كذب وافتراء على الله . فالله لا يرى ولا يتحيز فى مكان ما لأنه ليس بجسم لأن كل جسم محسوس متكثر بالقسمة الكمية إلى أجزاء متفرقة وبالقسمة المعنوية إلى هيولى وصورة وواجب الوجود بسيط لايقبل الإنقسام لا فى المعنى ولا فى الكم . وكل جسم محسوس لابد أن نجد له مشاركا فى الجسمية . وما به الاشتراك غير ما به التميز والخصوصية .

ولذلك كان كل جسم مركبا فلو كان البارى جسما لكان مركبا فيكون معلولا وواجب الوجود غير معلول وإذن فالبارى ليس بجسم أو متعلقاً بالجسم .

يقول ابن سينا فى الاشارات :
« لأن كل جسم محسوس وكل متعلق به معلول »[1] .

كما أن واجب الوجود لا حد له أى لا يتصور له فى الذهن تعريف مركب يكون شارحا لحقيقته حتى يدل كل جزء فيه على شيء هو فى الوجود غير ما يدل عليه الآخر . فالله لايحده مكان لأنه لو إحتواه المكان لوقع فى دائرة الحس وفى محيط النظر ولأصبح يحويه مكان ويفرغ منه أمكنة أخرى ويرى خلقاً ويغيب عنه خلقا آخر . وهذا ما يجعله لا يحسن الإشراف على هذا العالم وينفى هيمنته على أرضه وسمائه .

---

(١) ابن سينا : الاشارات ج ٣ ص ٤٧٧ .

فتصويرهم الله بأن له أرجل وأذرع وأنف ... الخ يتنافى مع جلاله وعدم تركيبه فمن أحكام واجب الوجود أن تكون ذاته واحدة وألا يكون مركباً من أعضاء أو أجزاء لأنه لو كان مركبا لتقدم وجود أجزائه على وجود ذاته فيصير وجود الذات محتاجا إلى وجود غيرها وهذا محال . ولأنه لو كان مركبا من أجزاء لصار الحكم له بالوجود محتاجا إلى الحكم أولا بوجود أجزائه وهذا نقص لأن واجب الوجود موجود بذاته لذاته .

يقول ابن سينا فى النجاة « فواجب الوجود ليس بجسم ولا مادة جسم ولا صورة لامادة معقولة لصورة معقولة ولا صورة معقولة فى مادة معقولة ولا قسمة لا فى الكم ولا فى المبادىء ولا فى العقول فهو واحد من هذه الجهات الثلاثة »[١] .

وأنه من الكفر أن يقال أن الإله مركب من أعضاء أو أنه متحيز فى مكان أو أنه جسد محدد .

فالله واجب الوحدة فى صفاته فلا يساويه فيها موجود وليس فى الموجودات ما يساوى واجب الوجود فى مرتبته فلا يكون فيها ما يساويه فيما يتبع مرتبته من صفات .

ولقد وصف القرآن الكريم الخالق سبحانه وتعالى بأنه سميع بصير — متكلم . ولكن السمع والبصر والكلام وغيرها ليست بآلة ولا جارحة — وليست بأذن ولا حدقة ولا لسان مما نعرف بل هى كلها من شئونه التى لا يعلمها سواه . وهى قديمة بقدمه ولا يمكن لعقولنا أن تعرف حقيقتها فعلينا أن نؤمن بأن الله تعالى موجود لا يشبه الكائنات ولا تشبهه المخلوقات وأنه أزلى حى عالم مريد قادر سميع عليم خبير بصير .

---

(١) د/ حمودة غرابة : ابن سينا بين الدين والفلسفة ص ٨٩ .

لقد جعل الإسلام حقيقة الذات فى ذاتها أمر وراء كل تصور وقد يتوهم من نفى المثلية عن الذات الإلهية ألا يكون لها مفهوم . وهذا خطأ فإن نفى المثلية يقتضى أن يكون للذات وجود وأن يكون لها مفهوم . ولكن هذا المفهوم يخالف أى تصور . وكان من حكمة الشريعة الإسلامية أن عبرت عن الله بكلمة الذات التى لا يعطى مدلولها تجسيداً ولا تجريداً وإن كانت تدل على وجود معانى لاتدركها العقول ولا تحيط بها الأفهام .

ولقد جعل الإسلام لهذه الذات خصائص ثلاث إنفردت بعدها عن الند والنظير وهذه الحقائق هى :

١ — أن هذا الإله ملء الوجود فلا يكون فى مكان دون آخر ولا فى زمان دون سواه بل يكون مع الناس أينما كانوا وأينما حلوا وأينما ساروا .

٢ — أن يكون خالداً فلا يجوز أن يغيب يوماً عن الوجود حيث يبحث عنه الناس فلا يجدونه .

٣ — إنفراد الله بصفات لا يشاركه فيها مشارك ولا يقاسمه فيها مقاسم ولذلك فإنه لا مكان للند أو الشبه أو المثل . ومن هنا ندرك أن الحقيقة الإلهية أكبر من أن يدركها العقل أوتحيط به الأبصار . وحقيقة ذاك شأنها لا تخضع لمنطق المادة . ولا توزن بميزان المحسوسات وأن العقل مهما دار حولها واجتهد جهده فى البحث عنها فلن يستطيع أن يضع يده عليها .

لكن الله يرى من خلال القلب المؤمن فإن هذا القلب يرى الله فيطمئن ويخضع ومحال أن تنكشف ذات الله تعالى حتى يرى نظراً بعين الرأس فى الدنيا . قال الله تعالى : (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) .

(البقرة : ٥٥)

فطائفة من اليهود فى عهد موسى قالوا لماذا إختص موسى وهارون بكلام الله تعالى من دوننا ، وتجرأت جماعة منهم بعد موت هارون وهاجوا على موسى وقالوا له لست أفضل منا فلا يحق لك أن تترفع بلا مزية وأننا لن نكون لك حتى نرى الله جهرة فأخذهم إلى خيمة العهد فانشقت الأرض وابتلعت طائفة منهم وجاءت نار من الجانب الآخر فأخذت الباقين[1] .

ويختلف الباحثون[2] فيمن طلب من موسى هذه الرؤيا هل هم السبعون الدين إختارهم موسى للذهاب معه والذى ذكرهم سفر الخروج أم أنهم جمهرة عامة من اليهود بدون تحديد لهؤلاء السبعين وسواء أكانوا جميعاً القائلين أو للسبعين فإن هذا الطور من أطوار الدين اليهودى عجيباً غريباً وحدانية تشوبها شوائب التجسد والوثنية. ذلك لأن رؤية الله بهذه الصورة ضرب من المستحيل وأن القائلين بها جهلة أغبياء لأن كياننا أضعف من تحمل هذه الرؤيا .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن التماس موسى رؤية الله وكيف إنهار الجبل الخراسانى الصخور واندك أمام عظمة القادر رغم ضخامته وقوته فكيف بالإنسان الضعيف .

(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربى أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن أنظر إلى الجبل فإن إستقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٢١ .
القرطبى جـ ٣ ص ٢٠٠٢ .
(٢) الطبرى جـ ١ ص ٢٣٢ — ٢٣٣ .

للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) . (الأعراف : ١٤٣) .

فكيف يتسنى لحواس الإنسان وهى المحدودة والتى تدور فى مجال محدود من مجالات الوجود المحسوس بصراً أو سمعاً وشماً وذوقا ولمساً . كيف يتسنى لهذه الحواس وهذا شأنها أن تحيط بذات الله وتدركه لو تجلى لها .

ولذلك كثرت الأحاديث النبوية التى تحث على التفكير فى خلق الله دون التفكير فى ذاته فقال ﷺ « تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فتهلكوا » فالله ليس كمثله شىء .

ولقد أثبت قدماء المصريين عدم إمكان رؤية الله منذ آماد طويلة وذلك بفطرتهم فقد تركوا لنا على مرم فى هيكل إيزيس بجهة صان الحجر نقش قديم يقول : انا كل شىء كان وكل شىء سيكون ومحال على من يفنى أن يزيل النقاب الذى تنقب به من لا يفنى[1] .

هذا هو موقف التوراة من الوحى الإلهى ظلمة حالكة لا يقرها عقل ولا يطابقها صحيح نقل .

ثم تأتى التوراة بعد ذلك لتناقض ما قالته أولا فتقول باستحالة رؤية الله جهاراً فتذكر أن موسى إشتاقت نفسه لرؤية الله فكان كلام الله إليه . « لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش » (خر ٢٣:٢ : ١)

وجاء على لسان أشعيا أن الله لا يشبه شىء ولا مثيل له « فبمن تشبهون الله وأى شبه تعادلون » الصنم يسبكه الصانع والصائغ يغشيه بذهب ويصوغ

(١) أ . س دابو برت : مبادىء الفلسفة ص ١٦٦ .

سلاسل فضة . الفقير عن التقدمة ينتخب خشباً لا يسوس ، يطلب صانعاً ماهراً لينصب صنماً لا يتزعزع » (ا ش ٤٠ : ١٨ : ٢٠) .

ألا يبين لنا هذا مدى ما فى التوراة من تخبط ، إنها بعد أن ترسم فى أذهان البشر صورة مجسدة لله وتتحدث عن ظهوره للبشر حديث باطل يتنافى مع أساسيات العقيدة نقلا وعقلا . تأتى فتعطى لله صورته الحقيقية بأنه ليس كمثله شىء ، ولذلك فكل ما جاء فى التوراة من نصوص تتحدث عن ظهور الله للبشر أو حلوله فى حيز معين ، فهو ليس كلام الله وليس وحياً وإنما هو من وضع محرفى التوراة الماديين .

(ب) الرؤيا المنامية :

جاء فى التوراة على لسان الرب قوله « إن كان منكم للرب فبالرؤيا استعلن له وفى الحلم أكلمه (عد ١٢ : ٦) .

فالتوراة تقص علينا صورة أخرى من صور الوحى وهى الرؤيا المنامية فكان النبى من أنبياء اليهود يرى الرؤيا وهو نائم حتى إذا ما إستيقظ من نومه شعر أن رؤياه قد ملكت عليه كل نفسه واطمأن بها قلبه وعلم أن ذلك وحى الله . وكانت الرؤيا هى سبيل الوحى لأغلب الأنبياء الوارد ذكرهم فى التوراة . فلقد كان هذا هو الحال مع إبراهيم ويعقوب وناثان وسليمان وأشعياء .

« بعد هذه الأمور صار كلام الرب إلى إبراهيم فى الرؤيا قائلا لا تخف يا إبراهيم أنا ترس لك . أجرك كثير جداً . فقال ابرام أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما » (تك ١٥ : ١ : ٢) .

« فخرج يعقوب من بئر سبع وذهب نحو حاران وصادف مكانا وبات

هناك لأن الشمس قد غابت وأخذ من حجارة المكان ووضعه تحت رأسه، فاضطجع فى ذلك المكان ورأى حلما وإذا سلم منصوبة على الأرض ورأسها يمس السماء وهوذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها وهوذا الرب واقف عليها فقال أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق » (تك ٢٨ : ١٠ : ١٤) .

« فى تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثان النبى قائلا إذهب وقل لعبدى داود هكذا قال الرب . أأنت تبنى لى بيتاً لسكناى لأنى لم أسكن فى بيت منذ يوم أصعدت بنى إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم بل كنت أسير فى خيمة وفى مسكن ، فى كل ما سرت مع جميع بنى إسرائيل ، هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يدعوا شعبى إسرائيل قائلا لماذا لا تبنوا لى بيتاً من الأرز . والآن فهكذا تقول لعبدى داود .

(٢ صم ٧ : ٤ : ٨)

« وفى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له إسأل ماذا أعطيك فقال سليمان لله أنك قد فعلت مع أبى داود رحمة عظيمة وملكتنى مكانه فالآن أيها الرب الإله ليثبت كلامك مع داود أبى لأنك قد ملكتنى على شعب كثير كتراب الأرض ، فاعطنى الآن حكمة ومعرفة لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هذا العظيم ،

فقال الله لسليمان من أجل أن هذا كان فى قلبك ولم تسأل غنى ولا أموالا ولا كرامة ولا أنفس مبغضيك ولا سألت أياماً كثيرة بل إنما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بها » (٢ خب ١ : ٧ : ١٢) .

وقال أشعيا « فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل ، السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة

أجنحة باثنين يغطى وجهه وباثنين يغطى رجليه وباثنين يطير ، وهذا نادى ذاك وقال : قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض ، فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخانا ، فقلت ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود ، فطار إلى واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فمى وقال إن هذه قد مست شفتيك فانتزع إثمك وكفرك عن خطيئتك .

ثم سمعت صوت السيد قائلا : من أرسل ومن يذهب من أجلنا فقلت ها أنذا أرسلنى . فقال إذهب وقل لهذا الشعب إسمعوا سمعا ولا تفهموا وأبصروا إبصارا ولا تعرفوا غلظ قلب هذا الشعب ، وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه » (١ ش ٦ : ١ : ١٢) .

وهذه الرؤيا المنامية لم تكن قاصرة على الأنبياء فقط ، فقد ذكرت التوراة أن الوثنى قادر على أن يرى الله فى رؤى الليل ويوحى إليه ويكلمه . فقد جاء فى سفر التكوين « فجاء الله إلى أبيمالك فى حلم الليل وقال له هاأنت ميت من أجل المرأة التى أخذتها متزوجة ببعل » (تك ٢٠ : ٣) .

(حـ) من وراء حجاب :

ورد فى التوراة أن النبى أو العبد الصالح قد يسمع أصواتا تناديه فلا يعيها أول الأمر حتى إذا ما عرف بخبرها أحد ممن يقرءون الكتاب من قبل ويعرفون طرق الوحى المختلفة لتعليم البشر طمئن هذا العبد لهذا الذى يأتيه ويخبره أنه قد صار نبيا يوحى إليه ، ولقد كان هذا هو الحال مع موسى .

« فقال الرب لموسى ها أنا آت إليك فى ظلام السحاب لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا » (خر ١٩ : ٩) .

« فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله »

(خر ٢٠ : ٢١)

« وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيد عن المحلة ودعاها خيمة الاجتماع فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التى خارج المحلة ، وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد فى باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة وكان عامود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحد فى باب خيمته » .

(خر ٣٣ : ٧ : ١٠)

وجاء فى سفر التثنية :

« فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوته ، وأخبركم بعهده الذى أمركم أن تعملوا به الكلمات العشر وكتبه على لوحى حجر » (تث ٤ : ١٢ : ١٣) .

ولقد كان هذا الحال مع صموئيل :

« وكان فى ذلك الزمان إذ كان عالى مضطجعا فى مكانه وعيناه إبتدأتا تضعفان لم يقدر ان يبصر وقبل أن ينطفىء سراج الله وصموئيل مضطجع فى هيكل الرب الذى فيه تابوت الله . أن الرب دعا صموئيل فقال ها أنذا

وركض إلى عالى وقال ها أنذا لأنك دعوتنى فقال لم أدع أرجع أضطجع فذهب واضطجع ثم عاد الرب ودعا أيضا صموئيل فقام صموئيل وذهب إلى عالى وقال ها أنذا لأنك دعوتنى فقال لم أدع يابنى إرجع واضطجع .

ولم يعرف صموئيل الرب بعد ولا أعلن له كلام الرب بعد ، وعاد الرب فدعا صموئيل ثالثة فقام فذهب إلى عالى وقال ها أنذا لأنك دعوتنى ففهم عالى أن الرب يدعوا الصبى فقال عالى لصموئيل إذهب إضطجع ويكون إذا دعاك تقول تكلم يارب لأن عبدك سامع فذهب صموئيل واضطجع .

فجاء الرب ووقف ودعا كالمرات الأولى صموئيل فقال صموئيل تكلم لأن عبدك سامع . فقال الرب لصموئيل هو ذا أنا فاعل أمراً فى إسرائيل كل من سمع به تطن أذناه » . (١ ص ٣ : ٢ : ١١)

وقد يسمع النبى أو العبد الصالح الله آتيا خلال السحاب أو فى ظلال الغمام .

« فحدث إذ كان هارون يكلم كل جماعة بنى إسرائيل أنهم إلتفتوا نحو البرية وإذا مجد الرب قد ظهر فى السحاب فكلم الرب موسى قائلا : سمعت تذمر بنى إسرائيل كلمهم قائلا فى العشية تأكلون لحما وفى الصباح تشبعون خبزا وتعلمون أنى أنا الرب إلهكم » . (١٦ : ١٠ : ١٢)

وقد ينظر العبد الصالح إلى السماء فيرى ظلا من النور والنار تشد نفسه إليها وتستولى على مشاعره وعندئذ يسمع وحى الله كما حدث لموسى فى أول ما أوحى الله إليه .

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية كاهن مديان . فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب . وظهر له ملاك الرب بلهيب

نار من وسط عليقة فنظر فإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم لماذا لاتحترق العليقة .

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى موسى فقال ها أنذا . فقال لا تقترب من ههنا ، إخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب » . (خر ٣ : ١ : ٦)

وقد يرى العبد الصالح مناظر عجيبة فى السماء وتصاحبها عواصف وزوابع ثم يجيئه صوت الوحى يعلمه كما كان الأمر مع إيليا وحزقيال .

يقول حزقيال: بعدأن ذكر الريح العاصفة والنار المتواصلة والحيوانات والأشياء الغريبة التى رآها فى السماء » .

« هذا منظر شبه مجد الرب ، ولما رأيته خررت على وجهى وسمعت صوت متكلم » . (خر ١ : ٢٨)

« فقال لى يا ابن آدم قم على قدميك ، فأتكلم معك ، فدخل فى روح لما تكلم معى وأقامنى على قدمى فسمعت المتكلم معى وقال يا ابن آدم أنا مرسلك إلى بنى إسرائيل إلى أمه متمردة قد تمردت على » .

(خر ٢ : ١ : ٣)

ويقول إيليا بعد أن خرج ووقف على الجبل :

« وإذا بالرب عابر وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب ولم يكن الرب فى الريح وبعد الريح زلزلة ولم يكن الرب فى الزلزلة وبعد الزلزلة نار ولم يكن الرب فى النار وبعد النار صوت منخفض خفيف .

فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه وخرج ووقف فى باب المغارة وإذا بصوت إليه يقول مالك ههنا يا إيليا، فقال غرت غيرة للرب، إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبيائك بالسيف فبقيت أنا وحدى وهم يطلبون نفسى ليأخذوها فقال له الرب إذهب راجعاً فى طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على آرام».

(١مل ١٩ : ١١ : ١٥)

(د) الوحى عن طريق إرسال الملائكة :

ورد فى التوراة أن الله قد لا يظهر للموحى إليه ظهوراً مباشراً فى هيئة مرئية تراه عيناه أو قد لا يكون من وراء حجاب أو لا يراه فى رؤيا منامية وإنما يرسل إليه ملائكة ليبلغوه مشيئة الله وينفذوا له ما أراد الله له من عقاب إذا أساء ويؤدوا إليه ما أراد الله من خير إذا أحسن وتظهر الملائكة إما فى طبيعتها النورانية فى هيئة وضاءة أو فى صورة بشرية تأكل وتشرب أو تكلمه من وراء حجاب بحيث يسمع صوتها ولا يراها؟ وقد كان هذا الحال مع إبراهيم ولوط وموسى ويسوع ودانيال.

جاء فى سفر التكوين أن الملائكة جاءت لإبراهيم ضيوفاً وهم يتمثلون بشراً من الرجال حتى أنه حسبهم عابرى سبيل فقام يجهز لهم مائدة من الطعام.

«فرفع عينه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لإستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة فى عينيك فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون».

(تك ١٨ : ٢ : ٤)

« ونادى ملاك الرب إبراهيم ثانية من السماء ، وقال بذاتى أقسمت ، يقول الرب إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك إبنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك » . (تث ٢٢ : ١٥ : ١٨)

ولقد جاءت الملائكة فى صورة بشرية مثلما حدث لإبراهيم .

« فجاء الملاكان إلى سدوم مساء وكان لوط جالساً فى باب سدوم . فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه إلى الأرض . وقال : ياسيدى ميلا إلى بيت عبدكما وبيتا واغتسلا أرجلكما ثم تبكران وتذهبان فى طريقكما فقالا : لا بل فى الساحة نبيت . فألح عليهما جداً فمالا إليه ودخلا بيته فوضع لهما ضيافة وخبز وفطير فأكلا » . (تث ١٩ : ١ : ٣)

« ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطا قائلين قم خذ إمرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة ، ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد إمرأته وبيد إبنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة » (تك ١٩ : ١٥ : ١٦)

« وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حمية كاهن مدين فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل حوريب وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة ، فنظروا وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تحترق » .

(خر ٣ : ١ : ٢)

وجاء فى سفر يشوع :

« وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده فسار يشوع إليه وقال له : هل لنا أنت أو لا عدائنا فقال كلا بل أنا رئيس جند الرب الآن آتيت فسقط يشوع

على وجهه إلى الأرض وسجد وقال له بماذا يكلم سيدى عبده ، فقال رئيس جند الرب : يشوع إخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس ففعل يشوع ذلك » . (يش ٥ : ١٣ : ١٥)

وأما دانيال فيقول « وكان لما رأيت أنا دانيال الرؤيا وطلبت المعنى إذا يشبه إنسان واقف قبالى وسمعت صوت إنسان بين أولادى فنادى وقال : يا جبرائيل فهم هذا الرجل الرؤيا فجاء إلى حيث وقفت ، ولما جاء خفت وخررت على وجهى فقال لى أفهم يا ابن آدم ، أن الرؤيا لوقت المنتهى ، وإذ كان يتكلم معى كنت مسجياً على وجهى إلى الأرض فلمسنى وأوقفنى على مقامى وقال ها أنذا أعرفك ما يكون » . (دان ٨:١٥:٢٠)

واستمر دانيال يرى جبرائيل على هيئة بشرية فى مواقف أخرى فيقول :

« وبينما أنا أصلى وأعترف بخطيتى وخطية شعبى إسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب إلهى على جبل قدس ، إلهى وأنا متكلم بعد بالصلاة إذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الإبتداء مطاراً واقفاً لمسنى عند وقت تقدمه المساء وفهمنى وتكلم معى وقال يا دانيال إنى خرجت الآن لأعلمك الفهم » (دان ٩ : ٢٠ : ٢٢)

ومما سبق يتضح لنا أن هناك مخلوقات علوية تتعامل مع الموحى إليهم بالتعليم والهداية والرعاية ويستطيعون رؤيتها فى طبيعتها النورانية أو متمثلة أشباحا من الرجال أو يسمعوا صوتاً لها من دون أن يروها ، وهذه الملائكة تبلغهم وحى الله وتحفظهم من الأعداء فالملائكة جعلت رحمة للإنسان تحفظه من الشر والأذى وهذا يتفق تماماً مع ما جاء فى القرآن الكريم عن الملائكة .

فقد ورد فى القرآن الكريم أن الملائكة تمنع الأذى والشر عن الإنسان

« ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) . (الأنعام : ٦١)

وتتدخل الملائكة فى الحروب لتحقيق النصر كما حدث فى بدر والأحزاب (ياأيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا) .

« الأحزاب : ٩ »

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام . إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) .

(الأنفال ٩ : ١٢)

وللملائكة واجبات وأعمال تقوم بها فى الكون الواسع وتتدخل أحيانا فيما يبدو للإنسان كأنه ظواهر طبيعية سواء فى العالم الخارجى المحيط بالإنسان أو فى عالم نفسه والملائكة جند الله قد عهد إليها بالتعامل مع الإنسان حسب قواعد إلهية عادلة (وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ماتفعلون إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم . يصلونها يوم الدين) .

« الإنفطار ١٠ : ١٥ »

ولذلك جاء القرآن الكريم يدعونا إلى ضرورة الإيمان بهم وبعلاقتهم الوطيدة بالإنسان فى شتى مراحل حياته (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً) . (النساء : ١٣٦)

ولكن التوراه تختلف مع القرآن فى ممارسة هؤلاء الملائكة ما يمارسه البشر من طبائع وغرائز مثل الأكل والشرب وغيره . فالتوراة تذكر قصة الملائكة الذين قدموا إلى لوط وإبراهيم أنهم أكلوا وشربوا ، ولكن القرآن الكريم يقول أن إبراهيم عليه السلام ظن هؤلاء الملائكة بشرا فقدم إليهم طعاما فلم يمدوا إليه أيديهم لأن الملائكة لا يأكلون .

(فلما رأى أيديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط) . « هود : ٧٠ »

فلم تأكل الملائكة مما قدم إليهم إبراهيم كما افترى واضعوا التوراة ، لقد صوروا أن الله يأكل ويشرب ، فكيف لا يصورون الملائكة بذلك ألا لهم الويل مما لفقوا ومما كذبوا على الله وعلى ملائكته ورسله .

فالملائكة وإن جاءت فى الصورة البشرية إلا أنها لا تمارس ما يمارسه البشر من طبائع وغرائز .

الفصل الثانى

الوحى المكتوب

الوحى المكتوب :

يقصد النصارى بالوحى المكتوب المعنى المنقول عن النبى ﷺ فى لغة معينة ، والفكرة المروية عنه فى شكل خارجى أو تشريع سماوى فى صورة خاصة وإطار محدد[1] .

وهذه المرحلة تلت مرحلة الوحى المطبوع وهى مرحلة التثبيت الكتابى عندما بدأت الكتابة . فقام الأنبياء إبتداء من موسى بتدوين ما أوحى إليهم أو ما قالوه أو عملوه بأيديهم أو على أيدى مساعديهم وخلفاؤهم .

ويقولون أنه نظراً لأن أعمار البشر فى عهد موسى وبعده كانت قصيرة فلم يكن ممكنا تسليم الحق وتداوله شفوياً بكيفية سليمة ومضمونة ، مما أدى إلى كتابة الوحى على يد موسى أول كاتبيه[2] .

لأنه لما حصلت المكالمة على جبل سيناء كما يقولون[3] ودعا الرب موسى ركبه وأعطاه الوصايا العشر مدونة .

« فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده ، لوحان

---

(1) اسبينوزا : رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٧٣ ، ٧٤ .
(2) القمص صموئيل مشرقى : مصادر الكتاب المقدس ص٣ .
(3) إظهار الحق ج ١ ص ٤١٣ : ٤١٥ .
القس صموئيل مشرقى : مصادر الكتاب ص ١٣ ، ١٤ .

مكتوبان على جانبيهما من هنا ، ومن هنا كانا مكتوبين واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين » . (حز ٣٢ : ١٥ : ١٦)

فالله سبحانه وتعالى أمر موسى أن يبدأ فى كتابة الأسفار المقدسة التى يسجل فيها تاريخ ٢٥٠٠ سنة خلت من قبله ، ولما أكمل موسى الأسفار الخمسة وبلغها إلى بنى إسرائيل وأخاه هارون .

وبعد موت موسى كما تروى التوراة صار يشوع قائدا للشعب فأمره الرب أن يتحفظ للعمل حسب كل ماهو مكتوب فى سفر الشريعة لحفظ يشوع الأسفار الخمسة لموسى وكتب هو سفر واحد ووضعه فى نفس المرتبة التى وضعت فيها أسفار موسى وعمل بشأنه مثلما عمل بشريعة موسى .

« فقال الشعب ليشوع الرب إلهنا نعبد ولصوته نسمع ، وقطع يشوع عهداً للشعب فى ذلك اليوم وجعل لهم فريضة وحكما فى شكيم ، وكتب يشوع هذا الكلام فى سفر شريعة الله » (يش ٢٤:٢٤:٢٦)

ويأتى من بعد يشوع من يكتب سفر القضاة ويضم إلى الأسفار السابقة ولا يعرف على وجه التأكيد من هو مؤلف هذا السفر فاليهود ينسبونه إلى صموئيل ولكنه بلا ريب قد جمع من مدونات كانت موجودة وقت كتابته وهو يشمل المدة من موت يشوع إلى قيام صموئيل .

وتتوالى الأنبياء بعد صموئيل الذين ظهروا فى عهد الملكية إلى زمان إنتهائها بالسبى البابلى ، وأثناء السبى البابلى وبعد الرجوع من السبى أمثال داود وسليمان وعاموس وأشعيا وميخا وناحوم وأرميا وصفنيا وطوبيا وحزقيال ودنيال ونحميا وملاخى ويونان .

وهكذا ظهرت مكتوبات لهؤلاء الأنبياء وأخذت تضم إلى أسفار موسى

الخمسة رويداً رويداً حتى كمل العهـــد القديم الذى يكون مع الأناجيل الـكتاب المقدس لدى النصارى .

والقرآن الـكريم يشير إلى قصة نزول التوراة ولـكن بصورة مخالفة عما ذكر فى كتب النصارى .

يقول تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة) . « الأعراف ١٤٢ »

ثم يقول : (يا موسى إنى إصطفيتك على الناس برسلاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) . « الأعراف ١٤٤ »

ومعنى ذلك أن الله يقول لموسى إنى إخترتك من بين قومك لتحمل الرسالة وخصصتك بتكليمى إياك فخذ ما آتيتك من الـكتاب والمناجاة وكن من الشاكرين لفضل الله تعالى ولا تطلب ما لا طاقة لك به من رؤية الله لأن موسى كان قد طلب أن يريه إياه بعد أن كلمه الله تـكليما وأوحى إليه التوراة .

ولقد إشتملت التوراة المنزلة على موسى التعاليم المتعلقة بالشريعة والعقيدة التى أرادها الله للعالمين وكانت بذلك كتاب هداية ونور .

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور) . « المائدة : ٤٤ »

ولـكن هل التوراة والألواح شىء واحد ؟ .

جمهور العلماء يرى أن التوراة والألواح كتاب واحد[1] وأن الله تعالى لما أوحى إلى موسى عليه السلام بالتوراة كتبها موسى على الألواح . أو أن

---

(١) الزمخشرى : الـكشاف حـ ٢ ص ١٢٤ .

الله كتب له فيها مواعظ وأحكاما مفصلة مبينة للحلال والحرام واستدلالهم في ذلك قول الله تعالى (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء) . « الأعراف : ١٤٥ »

وقوله تعالى : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون) .

« القصص : ٤٣ »

أما بعض العلماء ومنهم الشهرستاني[1] فإنه يرى أن الألواح غير التوراة وأنها أشبه بمختصر للتوراة إشتمل على الأقسام العلمية والعملية .

ويفسر قوله تعالى (وكتبنا في الألواح من كل شيء موعظة) إشارة إلى القسم العلمي وتفصيلا لكل شيء إشارة إلى القسم العملي . ومن يذهب إلى هذا الإتجاه أيضاً الشيخ رشيد رضا[2] عند تفسيره لهذه الآية .

وإني أميل إلى الرأي القائل بأن التوراة غير الألواح لأن الألواح أعطاها الله لموسى مكتوبة ، فدعوى النصارى وغيرهم أن شريعة موسى عليه السلام نزلت جملة واحدة[3] . من افتراءاتهم الكثيرة والكاذبة التي كانوا يضللون بها المسلمين .

فمن المعروف أن التوراة كان يتلقاها موسى على مراحل وفي مناسبات مختلفة ، والذي جاء به موسى جملة هي الوصايا العشر ، أما سائر الأحكام

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ٢ ص ١٦ .
(٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ١٩٠ .
(٣) تفسير الرازي جـ ١١ ص ١٠٩ .

الأخرى فإنها كانت توحى إليه عليه السلام فى أوقات متعاقبة ولم تنزل عليه مكتوبة .

وخير شاهد على ذلك توراتهم التى جاء فيها « وقال الرب لموسى إصعد إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم » . (خر : ٢٤ : ١٢)

وجاء أيضا فى التوراة « ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة لوحى حجر مكتوبين بأصبع الله » .

(خر ٣١ : ١٨)

الباب الثاني

تهافت عقيدة التجسد

الفصل الأول

تجسد الكلمة

تعترف المسيحية بجميع طرق الوحى الواردة فى العهد القديم والسابق ذكرها وهى الوحى المطبوع والوحى المكتوب .

يقول يس منصور « وقد أراد الله أن يعلن نفسه بطريق أكثر وضوحا عن عمل الخليقة فاتصل ببعض الخاصة من البشر وألهمهم إرادته ووضع فى قلوبهم وأفواههم أقواله يعلمونها للناس فتكلموا بنفس كلام الله ودونوا كلامه تعالى فى أسفار سميت كتب الله »[1] .

وبجانب هذه الصور للوحى يعتقد النصارى بصورة أخرى من الوحى أو الإعلان كما يسمونه ، فالله سبحانه وتعالى نزل من السماء وتجسد ليكلم الناس بذاته ويروه عيانا وعن قرب بعد أن ظل دهوراً طويلة قبل المسيح يتراءى لهم فى المنام أو يكلمهم من وراء حجاب .

يقول يس منصور « أراد الله أن يعلن نفسه أكثر وأكثر فأخذ يتجلى ويظهر بجده الخاص للسمع والبصر »[2] .

ويقول اثناسيوس الرسولى « إن الله إذا عرف أن الإنسان بطبيعته لم يكن فى مقدوره معرفته وهبه معرفته لكى يستطيع أن يجد فائدة من وجوده

---

(١) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٣٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣٧ .

فى الحياة ، لقد خلقه على صورة الـكلمة حتى يستطيع بذلك أن يعرف الـكلمة وبه يعرف الآب .

أماهو أى الإنسان فإذا احتقر المعرفة هوى إلى العبادة الوثنية تاركا الله غير المنظور واتبع الشعوذة وذلك كله رغماً عن إعلانات الله المتعددة عن نفسه ، ثم يزيد ذلك توضيحاً بقوله. عندما خلق الله الضابط لـكل الجنس البشرى بكلمته ورأى ضعف طبيعتهم وأنها لا تستطيع من نفسها أن تعرف خالقها أو أن تـكون أى فـكرة عن الله على الإطلاق .

لهذا تحنن الله على الجنس البشرى على قدر صلاحه ولم يتركهم خالين من معرفته لئلا يروا ألا منفعة على الإطلاق من وجودهم فى الحياة .

لهذا كان لزاماً أن يأتى الـكلمة نفسه ليجدد الخليقة التى كانت فى صورة الله ، وبذلك يستطيع البشر أن يعرفوه . فتم هذا بحضور كلمة الله بشخصه لـكى يستطيع وهو صورة الآب أن يجدد خلقه الإنسان على مثل تلك الصورة »[1] .

ويقول متى المسكين (عندما عجز الإنسان أن يحيا مع الله إذ عجز عن حفظ الوصية وسقط فى المخالفة والتعدى وطرح خارجا عن حضرة الله تنازل الله فى ملء الدهور وجاء إلينا ليحيا معنا)[2] .

ويوضح ذلك عوض سمعان بقوله (أن الأنبياء لم يعلنوا للبشر ذات الله بل قاموا بتبليغ أقواله لهم . إذ فضلا عن أنهم مثل غيرهم من الناس غير

---

(١) تجسيد الـكلمة ص ٤٤ — ٥١ .

(٢) عظة الميلاد لسنة ١٩٧٨ للاب متى المسكين .

معصومين من الخطيئة الأمر الذى لا يجعلهم أهلا لإعلان ذات الله . فهم أيضا محدودون فى ذواتهم ، والمحدودون لا يستطيعون أن يعلنوا غير المحدود .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن غرض الله من التجسد لم يكن مجرد إعلان ذاته للبشر . بل الظهور بينهم بحالة مدركة لهم لكى يستطيعوا معرفته والاقتراب والتوافق معه[١] .

ألا يكفى الإعلان عن آثار الله وأعماله لتكون عند الناس شاهد على وجوده وعلى ما له من صفات الجلال والكمال ؟

ثم ألا يكون هذا الوجود كله بما فيه من آيات وما يشمل عليه من عجائب وأسرار تقف أمامها العقول مشدوهة وتنظر إليها الأبصار خاشعة ألا يكون هذا إعلانا واضحا من الله أن التوافق مع الله لايتوقف على رؤيته بالعين بل على إدراك النفس لمحبته وكماله وجماله .

ولذلك لم يكن هناك داع لأن يتجسد الله إذ أنه موجود فى كل مكان ، وفى أقواله ما يكفى نفوسنا لإدراك كل شىء عنه .

ألم يكلم الله عزوجل العالم على ألسنة أنبيائه الذين جعلهم رسله ووسائله إلى خلقه ليعلمهم الإقرار بربوبيته وليشرع لهم ترك أوثانهم وأصنامهم .

فلماذا ينزل الله إلى الأرض ليعلن نفسه ؟ هل قصر الأنبياء حتى هبط الله ليتطلع على فعلهم ، أو أن الأنبياء لم ينفذوا أوامر الله فنزل هو بنفسه لينفذها ؟

هل عجز الأنبياء على بيان ما جاءت به الرسالات من الإيمان بالله

(١) الله وطرق إعلانه عن ذاته ص ٨٣ .

وعجزت عن إظهاره للعالم، فهبط هو ففعل ماقصر فيه هؤلاء الرسل من قبله ما الذى أظهره عيسى عليه السلام دليلا على أنه هو الله حتى تنقطع حجة العالم به دون غيره ، ما الذى أظهره من العظمة لم يظهرها غيره من الرسل حتى ترتفع المعاذير على حد قولهم .

أيليق بالله أن ينزل عن كرسي عظمته ويدخل فى رحم امرأة تسعة أشهر فى دم وطمث ثم يخرج بعد ذلك إلى لطم اليهود على رأسه وتسميرهم يديه ورجليه فى خشبة وصلبهم إياه عليها .

وإذا كان الإيمان بالله لا يكمل ولا يتم إلا برؤية الله مجسدا فمعنى هذا أن جميع الذين لم يروا الله مجسدا فى المسيح من أنبياء ورسل إيمانهم ناقص . وكذلك أتباع المسيح الذين لم يروه بالعين .

وماذا جد على البشرية بعد أن أعلن الله لهم نفسه ؟ هل عرفوه أكثر من ذى قبل ؟ أن الإلحاد مازال يمـــلأ وجه الأرض ، ومازالت الوثنية يتسلط سلطانها فى كل مكان .

أضف إلى ذلك إذ كان ولا بد من تجسد الله . فلما لم يظهر بالهيئة التى تليق بمجده وبهائه حتى تهابه الناس . وإذا كان المسيح هو الله فلماذا لم يعلن ذلك صراحة أمام الناس جميعاً حتى يؤمنوا به ؟ ولماذا ظهر فى أماكن محدودة ولم يظهر فى جميع الأمـكنة حتى يراه جميع الناس ويؤمنوا به ؟

إن إعلان الله على هذه الصورة يدعوا إلى شرود العقل وتشتيت الفـكر فى ذات الله ويقلل من شأنه جل جلاله ويسقط من هيبته فى النفوس ويذهب بالـكثير من عظمته وجلاله التى نراها حين ننظر إليه من وراء حجاب ، فالنفس البشرية تتوقد أشواقها إلى المجهول وتتحرك نزعاتها إلى عالم الغيب ، فإذا إنـكشف لها هذا العالم وظهر لها المستور سكنت نزعاتها وبردت أشواقها

نحو هذا الشيء الذى تسعى إليه ، لقد تعجب الكفار من أن يرسل الله إليهم بشراً رسولا يوحى إليه . (فقالوا أبشرا منا واحد نتبعه إنا إذا لفى ضلال وسعر) (القمر : ٢٤)

(وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلاأن قالوا أبعث الله بشرا رسولا). (الإسراء : ٩٤)

لقد إستبعد الكفار أن يكلم الله بشرا ويوحى إليه فكيف يكون الأمر إذ كان الله ذاته هو ذلك الإنسان يحيـــا بين الناس . أيصدق الناس تلك لدعوة بأن الله أو ابن الله هو ذلك الذى يعيش معهم إن هذا لمن المستحيلات .

تلك كانت الحكمة الأولى من التجسد . أما الحكمة الثانية فإن الإله حبا فى خليقته ومن أجل التوفيق بين العدل والرحمة تجسد فى صورة بشرية ليصلب ويعذب تكفيرا عن خطيئتهم التى توارثوها عن آدم رحمة منه للبشر .

يقول متى المسكين « عندما عجز الإنسان أن يحيا مع الله إذ عجز عن حفظ الوصية وسقط فى المخالفة والتعدى وطرح خارجا عن حضرة الله تنازل الله فى ملء الدهور وجاء إلينا ليحيا معنا »[1] .

وبسقوط آدم سقط الجنس البشرى كله فى الخطيئة التى ورثها منه وبذلك أصبح الإنسان أمام الله مذنباً عاجزا عن خلاص نفسه هالكا بسبب خطاياه وعدالة الله تقتضى هلاكه طبقاً للقانون الإلهى : لأنك يوم تأكل منها موتا تموت .

(١) عظة الميلاد لسنة ١٩٧٨ ص ٣ .

وهكذا وقف الإنسان أمام الله بذنوبه وآثامه وتعديه وقف وقفة مجرم أمام العدالة الإلهية ، ولكن الله بالإضافة لكونه عادل فهو أيضا رحيم ، فعدالة الله تقضى بموته وهلاكه ورحمة الله تطلب العفو عنه . ولكن كيف يكون الله عادلا وفى نفس الوقت رحيما »[1] .

ولكى يفدى الله الإنسان ويموت عنه كان لابد أن يصير إنسانا .

وهكذا تجسد الكلمة (الله) وحل فى مريم العذراء بالروح القدس وتجسد فيها وولد طفلا وكبر حتى صار رجلا[2] .

إذن فالمسيحيون يعتقدون أن عيسى بن مريم ما هو إلا إله متجسداً .

يقول صاحب المسيحية الأصلية : « إننا نؤمن بعلاقته السرمدية لله — علاقة المسيح — والتى ليست لأحد سواه ولا نحسبه إلهاً متنكراً فى هيئة إنسان ولا إنسان تجلى فى صفات إلهية لكن نؤمن إيماناً وثيقاً بأنه إله متجسد »[3] .

فالمسيحيون يعتقدون أنه لكى يوفق الله بين عدله ورحمته كان لا بد أن يتجسد الإله ثم يصلب ويموت ثم يقوم من الأموات . وهذا ما ذهب إليه القديس اثناسيوس الرسولى بقوله « إذن فالذى كان ممكناً أن يتم سوى تجديد تلك الخليقة التى كانت فى صورة الله ، وبذلك يستطيع البشر مرة أخرى أن يعرفوه ولكن كيف كان ممكناً أن يتم هذا إلا بحضور نفس صورة الله ربنا يسوع ، وكان ذلك مستحيلا أن يتم بواسطة البشر لأنهم

---

(١) لاهوت المسيح ص ٦ .
(٢) لاهوت المسيح ص ١٠ .
(٣) المسيحية الأصلية ص ٢٤ .

إنما خلقوا على مثاله ، ولا بواسطة الملائكة لأنهم لم يخلقوا على صورة الله .

لهذا أتى كلمة الله بشخصه لكي يستطيع وهو صورة الآب أن يجدد خلقه الإنسان على مثال تلك الصورة . ثم أن ذلك لم يكن ممكناً أن يتم دون القضاء على الموت والفساد، ولذلك كان لائقاً بطبيعة الحال أن يأخذ جسداً قابلا للموت حتى إذا أباد الموت فيه نهائياً أمكن تجديد البشر الذين خلقوا على صورته . إذن لم يكن كفؤا لهذه الحاجة إلى صورة الآب[١] .

ثم يوضح ذلك قائلا « وإذا رأى الكلمة أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب ، لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلا للموت حتى باتحاده بالكلمة الذى هو فوق الكل يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل وحتى يبقى فى عدم فساد بسبب الكلمة التى أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد فيما بعد بنعمة القيامة من الأراضى وإذا قدم للموت ذلك الجسد الذى أخذه لنفسه كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فوراً عن جميع من ناب عنهم إذ قدم عوضاً عنهم جسداً مماثلا لأجسادهم »[٢] .

ويفسر قول القديس اثناسيوس الدكتور هانى رزق بقوله «بذلك كانت هناك حتمية لتجسد المسيح وأخذه صورة العبد ووجوده فى الهيئة كإنسان فيكون الوسيط بين الله والناس فى قضية الغفران لتتم المغفرة ببذل نفسه فدية لأجل الجميع »[٣] .

---

(١) تجسد الكلمة ص ٥٠ — ٥١ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٩ .
(٣) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ١٥٧ .

وبذلك يكون الله « أبدل حكمه الأول الذى يقضى بأن النفس التى تخطىء هى تموت بحكم آخر زكى فيه إبنه الذى بذله لأجلنا أجمعين »[1].

والفلسفة التى بنوا عليها عقيدتهم كلها تقوم على أساس الجمع بين النقيضين عدل الله ورحمته وبسبب هذا التوافق بين العدل والرحمة كان هذا المراء كله بين العدل والرحمة من أوله إلى آخره لأنه لا يمكن الجمع بين العدل والرحمة فى جزئية واحدة على الإطلاق.

ودعنا نتساءل هل كان تجسد المسيح وصلبه ضرورياً لكى يجمع الله بين عدله ورحمته وبها يأخذ العدل صفته وينال البشر العفو والغفران فلنترك الجواب لإثنين من علماء المسيحية.

يقول بولس سباط « لم يكن تجسد الكلمة ضروريا لإنقاذ البشر ولا يتصور ذلك مع القدرة الإلهية الفائقة الطبيعية »[2].

ويقول الأب بولس إلياس « مما لاريب فيه أن المسيح كان باستطاعته أن يفتدى البشر ويصالحهم مع أبيه بكلمة واحدة أو بفعل سجود بسيط يؤديه باسم البشرية جمعاء لأبيه السماوى لكنه أبى إلا أن يتألم آيس لأنه مريض يعشق الألم ولا لأن أباه ظالم يطرب لمرأى الدماء وأية دماء ، دماء إبنه الوحيد وما كان الله بسفاح ظلوم لكن الله الابن شاء أن يعطى الناس أمثولة من المحبة تبقى على الدهر وتحركهم على الندامة على مااقترفوه من آثام وتحملهم على مبادلة الله المحبة »[3].

---

(١) ج.ر.و. ستون : المسيحية الأصلية ص ٥٥ .
(٢) المشرع ص ٤٢ .
(٣) يسوع المسيح ص ٩٧ — ٩٨ .

عبارات جوفاء لا تحمل أى معنى فالذى تقره العقول ويرتضيه المنطق أن يعفوا الله عن البشر لأنه صاحب الأمر وحده أو يعذبهم فإنهم ظالمون أما كونه ينتحر لتخليصهم فذلك جريمة فظيعة لا مبرر لها ولا داعى وربما تكون مقبولة إذا كان الذى يعذبهم غيره، أما إذا كان هو صاحب الشأن فالأمر بيده فليقل عفوت وهى أقرب من كل هذا الهذيان

وإذا كان المسيح صلب لتحقيق العدل والرحمة فأى عدل وأى رحمة فى تعذيب غير مذنب وصلبه .

وإذا كان المسيح هو ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة ؟ وأين كان عدل الله ورحمته منذ كانت حادثة آدم حتى صلب المسيح هل ظل الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين، وما الحكمة من إنتظاره هذه المدة الطويلة وما هى عاقبة الذين رحلوا قبل أن يجىء المسيح .

وإذا كان كل البشر ملوثين بالخطيئة قبل مجىء عيسى وصلبه فهل كل الأنبياء أمثال نوح وإبراهيم وموسى مدنسين بالخطيئة .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف إختارهم الله لهداية البشر ، ولماذا لم تذكر التوراة هذا الأمر الخطير صراحة، ولماذا لم تصرح به الأنبياء قبل عيسى وهو أمر لا يستهان به مما جعل القرطبى يتساءل ويقول « ففى أى موضع من التوراة ذكر — يقصد التجسد — وفى أى صحيفة من صحائف الأنبياء سطر أما أنكم أتيتم على ذلك بشواهد من التوراة وكتب الأنبياء فتأويلكم فيها لا يخفى على العجائز ضعفه ولا يستتر عن صغار الولدان سخفه » .

كما أن القول بالموت على الصليب كفارة عن الذنب غير مقبول عقلياً لأن المراد بالذنب على زعمهم الذنب الأصلى الذى صدر عن آدم عليه السلام لا الذنب الذى صدر عن أولاده ولا يجوز أن يعاقب أولاده عن هذا الذنب الأصلى لأن الأبناء لا يؤاخذون بذنوب الآباء ولا بالعكس بل هو خلاف العدل الذى جاء فى سفر حزقيال « النفس التى تخطىء هى تموت والإبن لا يحمل من إثم الأب ، والآب لا يحمل من إثم الإبن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون » . (حز : ١٨ : ٢٠)

وذلك لأن أصل وضع العقوبات فى الدنيا والآخرة هو تأدب الجناة ليكف غيرهم عن إرتكاب الجرائم فمن المعقول حينئذ أن تقع العقوبة على نفس المجرم وإلا كان وضعها عبثاً فكيف يصح أن يعاقب المسيح بل الإله الذى لم يقع منه جرم على جريمة غيره .

إن هذه العقيدة فاسدة . فكيف يصلب الإله ويذبح وهو صاحب الجبروت والسلطان ولماذا لم يعذب الله اليهود الذين أرادوا أن يصلبوه ليكونوا هم تكفيراً عن خطيئة آدم عليه السلام ولماذا لم يكن هو صاحب القدرة والإرادة والسلطان ويسحقهم جميعاً ويشل أيديهم قبل أن تصل إليه بالصلب . وكيف تكون إرادة اليهود هى النافذة وتعجز إرادة المسيح الإله إنه ليس إلا التعليل المتعسف لعملية صلب المسيح المزعومة ، إنه البرهنة الباطلة لتبرير تعذيبه وتنكيله لكى يسلم لهم بذلك القول بتأليه المسيح . ولكى تسلم لهم عقيدة التجسد . ولكى تستقيم لهم فكرة الحلول حلول الله فى جسد عيسى الذى عظموه وقدسوه ثم آلهوه .

ويحسم القرآن الكريم هذا الأمر حين يتعرض لمعصية آدم فيقول :
(وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) .
(طه : ١٢١ : ١٢٢)

(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) .

(البقرة : ٣٧)

لقد رفع الإسلام عن كاهل البشر هذه اللعنة وطمأنهم إلى العدالة التى لا تأخذ البرىء بالجرم أو تزر الولد بوزر والديه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، (فاطر : ١٨)

وهذا ما جعل دستور نظمى لوقا يقول « ولئن كان أقوام يؤمنون بأن الله ينتقم من الأحفاد لآثام أجدادهم الغابرين وأن حصرم الآباء يضرس به البنون . فالقرآن قاطع فى نفى هذه الجور المستعصى على الفهم »[1] .

وإذا كان المسيح حقيقة نزل من أجل الصلب لفداء البشرية وقد قبل ذلك ونزل من أجله . إذا كان ذلك صحيحاً فهل يعقل مع ذلك أن يسأل ربه أن ينقذه من الصلب وأن يبعد عنه هذه الكأس التى كان يوشك أن يتجرعها؟ كما ورد ذلك فى معظم الأناجيل «يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس» .

(مت ٢٦ : ٤٠)

ويقول مرقص : « إن المسيح كان يدعو قائلا : يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك فأجز عنى هذه الكأس » . (مر ١٤ : ٣٦)

أليس هذا يعد تناقضاً مع مهمته التى نزل من أجلها ألا يعد ذلك تراجعاً منه ونكوصاً ؟ وإذا كان المسيح قد نزل لفداء البشرية ، وقبل أن يصلب تكفيراً لخطيئة آدم . ورضى بذلك الصلب ترضية لأبيه وإذا كان الصلب بناء على ذلك هو مشيئة الأب والإبن معاً فلم إذن يلعن المسيحيون يهوذا

(١) محمد الرسالة والرسول ص ٧١ .

الذى دل عليه ؟ ويلعنون اليهود الذين صلبوه، ويهوذا واليهود لم يفعلوا شيئا سوى تحقيق مشيئة الآب والإبن معاً ؟

أما الحكمة الثالثة من التجسد كما يعتقد المسيحيون فهو ملء الهوة السحيقة التى كانت بين الله وبين الناس . أما بعد أن تجسد الله فقد سويت هذه الهوة الواسعة وملئت .

يقول أحدهم « فلا يوجد سلم ولكن توجد هوة واسعة لا حـــد لها ولو لم يكن الله قد بادر وتدارك الأمر لبقيت الحالة على ما هى عليه ولظل الإنسان بلا رجاء يتخبط فى دياجير اللا أدرية مثله مثل بيلاطس النبطى . وهو يتساءل قائل : ما هو الحق ؟ دون أن يلقى جواباً ، ولأصبح الإنسان متعبدا متجاوبا مع طبيعته وقد نقش على مذابحه القول لإله مجهول » .

ولكن لقد تكلم الله . لقد بادر وأعلن نفسه وكشف الله أمام عقولنا ما كاد أن يظل مخفياً عنها لولا ذلك[1] .

وهكذا يفكر علماء المسيحية بوجود هوة بين الله والإنسان لم يسدها إلا تجسد الله . ومعنى ذلك أن إيمان الأنبياء والرسل قبل عيسى إيمان ناقص ولا يوجد صلة بينهم وبين الله لوجود مثل تلك الهوة السحيقة .

إن أتباع المسيح وجدوا فى هذا التجسد الإلهى سواء للفداء أو الإعلان أو لسد الهوة السحيقة . المخرج الذى يخرج به المسيح من اللعنة التى علقت به بعد الصلب على خشبة لأنه حسب الشريعة اليهودية المسيح جدف على الله وقد صلب المسيح لتجديفه على الله ، ومات على الصليب ميتة شنيعة مصير صاحبها اللعنة والطرد من رحمة الله ، فكان لابد لأتباع المسيح أن يجدوا

---

(١) ج ر.و ستوت : المسيحية الأصلية ص ٩ – ١٠ .

مخرجا ليبرروا به هذه الميتة الشنيعة وأن يكون لموته ثمناً فذهب تفكيرهم إلى القول بأن المسيح لم يصلب عبثا وإنما كان ذلك عن حكمة وتدبير لخلاص البشرية من الخطيئة التى لصقت بها منذ معصية آدم . ولتحقيق عدالة الله ورحمته — فالذى صلب ليس بشراً لأن الإنسان لايمكن أن يكون خلاصاً للبشرية وغفرانا لخطيئتها فالذى صلب هو ابن الله أو كلمة الله .

ولكن كيف إمتد تصور المسيحية إلى إعتبار عيسى عليه السلام إبنا لله ؟ .

لقد قررت المسيحية أن لله إبنا بمعنى البنوة الحقيقية وهو عيسى عليه السلام، وقد ألقى دعاة المسيحية بهذه المقولة فى آذان اليونانيين والرومانيين والفرس . فاستمعوا لهم وصدقوا دعوتهم .

ولقد كانت صورة الآلهة والآلهة البشرية تعيش فى تفكير الناس وفى أحلامهم . فى هذه الفترة ، وكانت عقولهم مستعدة لاستقبال القول بنزول الآلهة أو أبناء الآلهة إلى الأرض . كما أن ألوهية عيسى أعلنت على الناس بعد إنتهاء حياته على هذه الأرض . وبذلك لم تكن هناك فرصة أمام الناس للتأكد من عيسى والنظر إليه والإلتقاء به على تلك الصفة .

وهنا تكثر الأحاديث عن عيسى وتنفسح آفاق الأحلام ، فمن قائل أنه بشر ومن قائل أنه إله أو ابن إله ، وشاهد على ذلك ولادته من عـــذراء وإحيائه للموتى ، فالله وحده الذى يحيى ويميت .

لقد قال أتباع المسيح بأن عيسى ابن الله ليدفعوا عنه اللعنة التى قضى بها الناموس على كل من علق على خشبة فإذا كان عيسى إبنا لله فقد خرج من سلطان هذه اللعنة التى لاتنال إلا من وقع تحتها من الناس . أما المسيح فهو

ابن الله فقد خرج من سلطان هذه اللغة . ولكن كيف يكون لله إبنا والتوراة لم تقل الا بالتوحيد .

لذلك عمد أتباع المسيح ومفكروا المسيحية إلى ذات الله فقسمته لتستولد منه هذا الابن فكان القول بالتثليث الذى فرق الذات الإلهية إلى ثلاث أقانيم . فالقول بالتثليث جاء نتيجة حتمية لقولهم بألوهية عيسى ، فألوهية عيسى تقررت قبل القول بالتثليث .

وفى هذا أختلف مع غالبية الباحثين فى المسيحية لقولهم أن التثليث تقرر أولا ثم بدأ البحث عن أفراد هذا الثالوث .

ولكن كيف إنتزع أحد الأقانيم وهو الكلمة أو الابن وحل فى الناسوت ؟

يقول أوريجنس زعيم الإتجاه العقلى فى العقيدة المسيحية (١٨٥ — ٢٥٤ م) بأن المقصود بابن الله أن المسيح قريب من الله فى الدرجة والمنزلة وأن منزلته تلى منزلة الله . كما أن كلمة الله هو عقل الله أى أن المسيح هو عقل الله .

وبانضمام هذا المعنى الذى أريد من كونه ابن الله وهو القرب فى المنزلة يصبح المسيح هو عقل الله القريب من الله أى الذى يكون فى الوجود المرتبة الثانية بعد الله . والله والمسيح إذن أو الله وإبنه أو الله وكلمته أزليان قديمان . لأن العقل الإنسانى فى اللحظة التى يتصور فيها وجود الله يتصور أيضاً وجود كلمته معه فليس وجودها مسبوقا بفترة من الزمان .

فالمسيح الذى هو كلمة الله أو عقله حل فى عيسى الانسان ، والمسيح بهذا المعنى بدا فى شخص عيسى وعيسى بناء على ذلك إنسان إلهى صورته الخارجية

صورة إنسان وطبيعته الداخلية مما ينتمى للاله[1] .

فا أوريجنس يحمل بنوة المسيح على المعنى المجازى وهو قرب المنزلة وأن منزلته فى الوجود تلى منزلة الله ، وهذا المعنى مما تتحمله اللغة . ولما وصل إلى كلمة الله فى الشرح لم يرد بالكلمة واللفظ والعبارة . بل أراد بها معنى آخر نفسياً وهو العقل (Logos) وذلك أيضا فى حدود اللغة. إذن فالكلمة مخلوقة لله وليست هى الله .

يقول اثناسيوس الرسولى وهو من دعاة الكنيسة فى القرن الثالث « ويمكننا أن ندرك أن تجديد الخليقة كان من عمل نفس الكلمة التى خلقها الله فى البداية »[2] وبهذه الكلمة خلق الله العالم .

يقول إثناسيوس « خلق الأشياء من العدم بكلمته »[3] « وكيف أن الآب الصالح ينظم كل الأشياء بالكلمة وأن به تتحرك الكائنات وبه تحيا »[4] .

والقول بتجسيد الكلمة عقلا لله كان من تأثير الفلسفة اليونانية .

قال أفلاطون : الله أزلى أبدى وهو منزه عن الحركة تنزيها مطلقا وكان معه فى الأزل كائن يدعى الديمورج (الصانع) هو صورة الخير والنموذج الحى بذاته الحاوى لجميع المثل فكان من الطبيعى أن يتأمل الله فيه لأنه تعالى خير .

---

(١) د. محمد البهى : الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص ٨٤ — ٨٥
(٢) تجسد الكلمة ص ١٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٤ .
(٤) المرجع السابق ص ١٦ .

وكان من الطبيعى أن يريد بعدذلك صنع العالم على مثاله . فأثر الديمورج فى عالم الحس تأثيرا متوافقا مع الخير الأعلى وحوله إلى النظام والاتساق اللذين تسمح بها طبيعته . وأول ما ظهر من تأثير الديمورج هو نفس العالم ثم ظهر بعد ذلك جسمه »[1] .

وقال أفلوطين : الله لم يخلق العالم مباشرة لأن الخلق عمل ، والعمل يستدعى التغيير والله لا يتغير . بل أن تفكير الله فى ذاته نشأ عنه فيض ومن هذا الفيض تكون العالم وأول شىء إنبثق من الله هو العقل ثم من هذا العقل إنبثق نفس العالم أو النفس الأولى ومن هذا النفس إنبعثت النفوس الجزئية[2] .

وقد أخذ العقل المسيحى هذه الفلسفة كما هى وتنقل بالمسيح فى أطوارها طوراً طوراً . فكان الكلمة المتولدة من فكر الله المحض . ثم كان الكلمة المتجسدة فى شخصه المقدس . ثم كان العقل الذى يقوم فى ذات الله والذى يخلق الله به العالم ويتصل بالكائنات . ثم كان من مفهوم الكلمة التى تجسدت أو تأنست وصارت إنسانا قدسيا .

لقد جعلوا كلمة الله هى المسيح ثم عادوا لجعلوا المسيح هو الله .

يقول القس يس منصور « إن المسيح لم يدع كلمة الله لأنه مخلوق بكلمة الله ، بل دعى بذات كلمة الله وإلا فكل الخلائق مخلوقة بكلمة الله فهل ندعوها كلمة الله ؟ وكلمة الله هذه غير كلمته المكتوبة فى الكتاب المقدس فكلمة الله ذات إسمه المسيح ، والكلمة المكتوبة ليست بذات ، وكلمة الله تجسدت ،

---

(١) د. محمد غلاب : الفلسفة الإغريقية ج ١ ص٢٤٨ — ٢٤٩ .

(٢) د يوسف كرم : تاريخ للفلسفة اليونانية ص٣٢٣ — ٣٢٤ .

والكلمة المكتوبة لم تتجسد ، والكلمة المكتوبة ليست الله ، والكلمة المتجسدة هو الله ، وقد دعى المسيح كلمة الله إستعارة وتشبيها بالكلمة التى نفوه بها وقت التكلم فالكلمة هى :

أولا : إعلان المتكلم لأنها ترجمان أفكاره وتبيان مقاصده ودليل على سجاياه . فكذلك المسيح هو إعلان الله للناس وبدونه لا نعرفه تعالى كقوله « الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذى فى حضن الآب هو خبر .

ثانياً : الكلمة هى قوة المتكلم لأن إرادته تنفذ بتأثيرها كما جاء فى سفر الجامعة « حيث تكون كلمة الله فهناك سلطان » . فكذلك المسيح هو قوة الله الذى به خلق العالم وخلص البشر .

ثالثاً : الكلمة هى ذات وجود دائم ملازم للعاقل فكذلك المسيح موجوداً أزلياً مع الآب . لهذا لقب بكلمة الله لوجوده الأزلى معه ولأنه هو منه ، فهو حسب الجوهر مع الآب والروح القدس ذات إلهية واحدة »[1] .

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذبا . لقد أولوا الكلمة بحيث أصبحت هى القوة التى بها خلق الله العالم ، وخلق البشر . ثم تكون هى الذات الإلهية مع الآب والروح القدس .

فالمسيح هو الخالق مع الآب والشريك فى الربوبية ، وليس مخلوق بكلمة الله ، وهذا التخريج للكلمة باطل وظاهر للفساد ، فالكلمة إذا كانت إعلاناً عن المتكلم وترجماناً لأفكاره وهـــذا صحيح ، ولكن الكلمة شيء والمتكلم شيء آخر لأنه الخالق والموجد لها .

---

(١) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٧٤ — ١٧٥ .

فالقول بوحدة الكلمة والمتكلم ظاهر الفساد . كما أن الكلمة وإن كانت قوة المتكلم لأن إرادته تنفذ بتأثيرها . فإنها لذلك ليست هي ذات المتكلم فالمتكلم له العديد من الأقوال والأفعال تنفذ بها إرادته ، كما أن الكلمة ليست ذات وجود دائم ملازم للعاقل الناطق ، وإنما هي عمل متخلق من إرادة الإنسان .

فالقول بأن كلمة الله هي الله قول ظاهر الفساد ، لأنه نظر فى ذات الله وكشف تحليلى لها وذلك ما لا يقع فى الإمكان .

وإذا سلمنا بأن الله عقلا ما تحويه ذاته وأن لهذا العقل فكراً ، وأن لهذا الفكر نطقاً وأن هذا النطق هو كلمة الله . فكيف يمكن التسليم بأن هذه الكلمة بالذات هى المسيح الذى ولد من مريم ؟

إن هذه التصورات من نسيج الأوهام ومن مواليد العقلية الوثنية التى جسدت الله وأنزلته إلى عالم الأرض .

فوصف عيسى بأنه الكلمة أى أنه المكون بأمر الله ،

يقول تعالى (إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه) . « النساء : ١٧١ »

فعيسى تكون بأمر الله وكلمته التى هى كن[٢] من غير واسطة فكان

---

(١) تفسير الجلالين ص ١٠٣ .
تفسير القرطبى ج ٢ ص ١٣١٨ .
تفسير أبى السعود ج ١ ص ٨٢١ .
تفسير الرازى ج ٢ ص ٨٢ .
تفسير القرطبى ج ٣ ص ٢٠١٨ .

بشراً من غير أب . فوصف عيسى بالكلمة لأن الله أنشأه بال
هى كن الدالة على إرادة الله .

والكلمة بهذا المعنى ليست خاصة بعيسى عليه السلام . فكل شىء فى الوجود هو كلمة بهذا المفهوم وليس عيسى عليه السلام إختص بذلك دون بقية الموجودات .

إن ما وقعت فيه المسيحية من تناقضات جـاء نتيجة لتطور العقل المسيحى ونظرته للشخصية المتجسدة هل هى الله أو ابن الله أو الكلمة ، واختلاف النظرة إلى المسيح من طور إلى طور حسبما تقتضى به الأحوال لتعديل وجه العقيدة على الوضع الذى يخفى ما أظهرت الأيام فيها من ميل واعوجاج كما جاء نتيجة أنها أقامت عقيدتها على الفلسفة ولم تقم الفلسفة على العقيدة .

فالفلسفة اليونانية كانت هى البنا . الأول فى العقل المسيحى ثم كانت العقيدة المسيحية هى المولود الشرعى لهذه الفلسفة .

إن عقيدة التجسد ليست مما كان يبشر به المسيح فى دعوته ولا كانت مما تعرض له حوارييه وإنما هى إضافات وشروح ومفاهيم جديدة دخلت على تعاليم السيد المسيح بعد أن التقت المسيحية بالأمم الوثنية التى تعدد الآلهه وتجسدها .

إذن فالمسيحيون جميعاً يقولون بأن الذى ولدته مريم وعاينه الناس وكان بينهم هو الله وهو ابن الله وهو كلمة الله . فالقديم الأزلى خـالق السموات والأرض هو الذى حبلت به مريم وأقام هناك تسعة أشهر .

وهو الذى ولد ورضع وفطم وأكل وشرب وتغوط وأخذ وصلب

وشد بالحبال وسمرت يداه . ولكن إختلفت الآراء وتشعبت حول تصور تجسد السيد المسيح .

فقد كانت طبيعة المسيح ومقدرته الخارقة على الإتيان بالمعجزات وكيفية مجيئه إلى الدنيا كانت سبباً فى القول بألوهيته فأثبتوا له الاتحاد بالله كما اعتقدوا أن الشيء ربما صار غير ما كان .

ثم رأى المسيحيون بعد ذلك أن المسيح كان جسما يأكل ويشرب ولا يمكن لمن يأتى هذه الأفعال أن يكون له الصفات الإلهية فقالوا بالاتحاد إما بالذات أو بالمشيئة فالمتجسد بعيسى هو الذى له الصفات الإلهية ويجب أن يكون ذلك المتحد هو الإله القديم الأزلى وتأرجحت المسيحية بين الحلول والاتحاد أو وحدة الوجود .

فأوريجنس[1] كان يرى أن المسيح الذى هو كلمة الله أو عقله حل فى عيسى الإنسان المولود من مريم العذراء وعيسى بناء على ذلك إنسان إلهى فهو طبيعة من طبيعتين إمتزجتا وصارتا طبيعة واحدة مركبة من اللاهوت والناسوت .

لقد قام نسطور فى سوريا بمتابعة مذهب أوريجنس العقلى هذا فكان يقول « إننى أعترف مؤمنا أن كلمة الله هو قبل كل الدهور . إلا أننى أنكر على القائل بأن مريم والدة الإله فذلك عين البطلان لأنها كانت إمرأة ولا أنكر أنها أم المسيح إلا أن الأمومة من حيث الناسوت فقط لأن مريم لم تلد إلها بل ما يولد من الجسد ليس إلا جسداً . أن الخليقة لم تلد الخالق بل ولدت إنسانا تحول إلى اللاهوت »[2] .

---

(١) د. محمد البهى : الجانب الإلهى من التفكير الإسلامى ص ٨٥ .

(٢) سليمان مظهر : قصة الديانات ص ٤٢٠ — ٤٢١ .

فنسطور كان يرى أن المسيح إله معبود وأنه ابن الله وأن مريم لم تلد الإله بل ولدت الانسان ثم إتحد الانسان إتحاداً مجازياً مع الابن أو عقل الله أو الكلمة ، فمريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان وأن الله تعـالى لم يلد الانسان وإنما ولد الإله(١) .

فالمسيح بهذا الشكل له طبيعتين متباينتين كاملتين تحتفظ كل منهما بخواصها وملكاتها التى بها تتحرك وتعمل على أن المسيح مع ذلك واحدا ، إنه لشخص (بروسبون) واحد وأنه فيه لشخص «بروسبون» فردا .

وأن هذه الوحدة قائمة نتيجة الإتحاد لا قائمة بالرغم من الاتحاد أى بالرغم من الكثرة التى يفترضها كل إتحاد فى أساسه(٢) .

ولقد إنعقد مجمع افسس الأول عام ٤٢١م وتقرر فيه تكفير نسطور كما تقرر فيه وحدة الأقنوم فى المسيح وأن مريم أم الله(٣) .

وفى مجمع خليكدونية (٤٥٢ م) تقرر فيه أن المسيح ابن الله الوحيد رب واحد من طبيعتين بدون امتزاج ولاتغيير وبدون تقسيم وتفريق ودون أن يلغى هذا الاتحاد تمايز الطبيعتين وبقاء خواص كل من الطبيعتين على حالها . وبذلك تكون مريم ولدت إلها الذى هو مع أبيه فى الطبيعة الإلهية ومع الناس فى الطبيعة الانسانية(٤) .

(١) الشهرستانى : الملل والنحل جـ ٢ ص٢٩ — ٣٠ .
ابن حزم : الفصل فى الملل والنحل جـ١ ص ٤٩ .
(٢) ج قنواتى : فلسفة الفكر الدينى بين المسيحية والإسلام جـ ٢ ص ٣٠٢ — ٣٠٤ .
(٣) زكى شنودة : تاريخ الأقباط جـ١ ص ١٣٩ .
(٤) الإمام أبو زهرة : النصرانية ص ١٦٥ — ١٦٦ .

ولقد قال بالطبيعتين والمشيئتين جميع الكاثوليك روما ويسميهم الشهرستاني الملكانية ويعرف مذهبهم قائلا : قالت الملكانية أن الله ثالث ثلاثة والثلاثة كلها لم تزل أي أن الأب والابن والروح القدس يتصفون بالقدم وأن الكلمة التي هي أقنوم العلم إتحدت بجسد المسيح ولكن لم تكن هذه الكلمة إبنا قبل أن تتحد معه كما صرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم وأن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وهو قديم أزلي وقد ولدت مريم إلها أزليا[1] .

والنسطوريين في عصرهم الأخير إنحازوا إلى الرأي القائل بامتزاج اللاهوت في الناسوت أي القول بالطبيعتين . وذلك بعد أن حاول بابای الأكبر (٥٥٠ — ٦٢٧م) إعادة صياغة الآراء النسطورية الأصلية في صيغ جديدة تلطفها وتدنيها من الموقف الكاثوليكي .

فكان يرى أن القول بالاتصال وبالحلول غير كاف للدلالة على إتحاد الطبيعتين في المسيح ثم إنه يعترف للعذراء بأنها أم الله ويلح على إثبات وحدة الأقنوم في المسيح .

ولكنه من ناحية أخرى ينسب للمسيح طبيعتين كاملتين قائمة كل واحدة في ذاتها وبذاتها أي أنه يذهب إلى أن المسيح يقوم بأقنومين لا بأقنوم واحد بالمعنى الذي أجمع عليه آباء الكنيسة في مجمع أفسس الاول والخلكدونية المسكونيين اللذان تقرر فيهما وحدة الأقنوم في المسيح[2] .

---

(١) الشهرستاني : الملل والنحل جـ ٢ ص ٢٧ (تحقيق) .

(٢) ج . قنواتي : فلسفة الفكر الديني بين المسيحية والاسلام جـ ٢ ص ٣٢٦ .

ولقد أخذ بالقول بالطبيعتين والأقنوم الواحد أو المشيئة الواحدة إتباع يوحنا مارون . فقالوا مع أن المسيح ذو طبيعتين فله مشيئة واحدة هي المشيئة الإلهية والإرادة الإلهية لالتقاء الطبيعتين فى أقنوم واحد إلهى وهو الابن أو الكلمة .

وقد شايعهم فى هذا الرأى بعض مسيحى آسيا ، ونتيجة لذلك إجتمع مجمع القسطنطينية السادس ٦٨٠ م وأصدر قراراً بتكفير يوحنا مارون ولعنه وطرده من منصبه وقرر الايمان بأن الواحد من الثالوث الابن الوحيد هو الكلمة الأزلية الدائم المستوى مع الأب الإله فى أقنوم واحد ووجه واحد يعرف تاما بناسوته تاما بلاهوته فى الجوهر الذى هو ربنا يسوع المسيح بطبيعتين تامتين ومشيئتين فى أقنوم واحد فهو مايشبه الانسان أن يعمله فى طبيعته ومايشبه الاله أن يعمله فى طبيعته وكل واحد من الطبيعتين تعمل مع شركة صاحبتها بمشيئتين غير متضادتين[1] .

ولقد كان من المقاومين لنسطور كيرلس بابا الاسكندرية (٤١٢ — ٤٤٤ م) وتوصل إلى أن المسيح ذو طبيعة واحدة هى طبيعة الكلمة الالهى المتجسد .

وكان يقول أن اعترافنا بطبيعة واحدة للابن المتجسد ليس معناه أنه حدث إختلاط وامتزاج بين اللاهوت والناسوت ، وباطل من يقول أن طبيعة الانسان لكونها ضئيلة جداً أمام الطبيعة الإلهية الفائقة ، فلابد أن تتلاشى إذا ما اتحدت بها . لأنه ليس بمستحيل على الله محب الصلاح أن يخضع نفسه لحدود البشرية[2] .

(١) الامام أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٧٢ .
(٢) التجسد الالهى ص ٢٢ .

ثم يقول للرد على نسطور القائل بأن الاتحاد بين الطبيعة الالهية والطبيعة الإنسية إتحاد معنوى .

« إن كيفية الاتحاد هذه عميقة وفائقة الوصف ، وفائقة لمداركنا ، ومن الجهالة التامة أن نخضع للبحث العقلى ما يفوق العقل ، أو نحاول أن ندرك بعقولنا الذى لا يدرك بالعقل »[1] .

ولكن جاء بعد ذلك ديوسكورس الذى خلف كيرلس على الأسكندرية وقال أنه ليس فى المسيح إلا طبيعة واحده لفناء الناسوت فى اللاهوت وهو ما كان يحذر منه كيرلس . ولقد عرف هذا المذهب بالأوتيخية نسبة إلى أوتيخيس .

وكان من أقطاب هذا المذهب يحيى النحوي ولميانوس ، ولكن الأوتيخية لم تكن هى الأكثر ذيوعاً بل المذهب المونوفيزى هو الذى ذاع وانتشر . وهذا المذهب نادى به داعية مشهور إسمه يعقوب البرادعى ، وسمى أتباعه باليعاقبة وقد أخذ بمذهب المونوفيزية أى الطبيعة الواحدة ثلاث كنائس تسمى نفسها بالأرثوذكسية أى الكنائس المستقيمة الرأى وهى الكنيسة الأرثوذكسية المرقسية فى مصر والحبشة والكنيسة الأرثوذكسية السريانية والكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية .

وقد لخص هذا المذهب صاحب كتاب خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر بقوله « إن كنيستنا المستقيمة الرأى ومعها الكنائس الحبشية والسريانية الأرثوذكسية تعتقد أن الله ذات واحدة مثلثة الأقانيم . أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثانى أقوم الابن تجسد من روح

(١) المرجع السابق ص ٢٠ .

القدس ومن مريم العذراء مصيرا هذا الجسد معه واحدا وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة . بريئة عن الانفصال وبهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة [١] .

ويشرح هذا المذهب الشهرستانى فيقول : قالت اليعاقبة « المسيح جوهر واحد أقنوم واحد إلا أنه من جوهرين . وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين فجوهر الإله القديم وجوهر الانسان المستحدث تركيباً كما لو تركبت النفس والبدن فصار جوهراً واحداً أقنوما واحداً . وهو إنسان كله وإله كله فيقال الانسان صار إلهاً ولا ينعكس فلا يقال الاله صار إنساناً .

وزعموا أن الكلمة إتحدت بالانسان الجزئى لا الكلى وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج والادراع والحلول كحلول صورة الانسان فى المرآة المجلوة » [٢] .

فأصحاب الطبيعة الواحدة يعتبرون أن المسيح كامل فى لاهوته وكامل فى ناسوته ومع ذلك فإنه ليس إنسانا وإله معاً وإنما هو إله متجسد .

فاللاهوت والناسوت متحدان إتحادا تاما فى الجوهر وفى الأقنوم وفى الطبيعة . فليس هناك إنفصال بين اللاهوت والناسوت فى يسوع بل أنه منذ اللحظة الأولى التى حل كلمة الله فى رحم مريم إتخذ الأقنوم الثانى من الثالوث من دم مريم جسدا بشريا ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة واتحـد بالناسوت فالمولود من مريم هو الإله المتجسد جوهر واحد شخص واحد أقنوم واحد أو طبيعة من طبيعتين . فهو طبيعتين قبل الاتحاد أما بعد الاتحاد فهناك

---

(١) د . على عبد الواحد : الأسفار المقدسة ١١٥ .
(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ﺟ ٢ ص ٣٢ .

طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين (١) .

وبالإضافة إلى القائلين بالطبيعة الواحدة أو الطبيعتين ظهرت آراء أخرى لشرح حقيقة التجسد . فمن قائل : أن المسيح نزل فى جسم خيالى من السماء ومر فى بطن مريم العذراء . ونادى بهذا الرأى فالنيتوس وسطرنيس ومرقيون وبرديسياس وغيرهم . ولقد جاء أثناسيوس الرسولى واتخذ قرارا بحرمان كل هؤلاء وطردهم من زمرة المسيحيين وقال : كل من اعترف أن جسد المسيح نزل من السماء ولم يقل أنه من مريم العذراء وقال أن اللاهوت استحال إلى الناسوت واختلط فإن الكنيسة تحرمه .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والإنجيل والتوراة ص٢٥٧ .

أدلة النصارى على ألوهية عيسى

يستدل المسيحيون على ألوهية عيسى :

(ا) بشواهد من العهد الجديد .

(ب) آيات من العهد القديم .

(ح) ولادة عيسى غير الطبيعية .

(أ) يستدل المسيحيون على ألوهية عيسى بشواهد كثيرة من العهد الجديد :

يقول الدكتور هانى رزق[1] بأنه ورد فى الكتاب المقدس نصوص تفيد أن يسوع ابن الله ولقد تناولت هذه النصوص مدلول هذه الصفة لتوضيح طبيعة العلاقة بين الله الآب وإبنه يسوع المسيح .

« وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله » (يو ١ : ٣٤)

« فأجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى »
(مت ١٦ : ١٦)

وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله »
(ا ع ٩ : ٢٠)

كما أنه وردت شواهد أخرى متعددة تعلن أن الله هو الآب ليسوع المسيح التفت المسيح إلى تلاميذه وقال « كل شىء قد دفع إلى من أبى وليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب ولا من هو الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له » (لو ١٠ : ٢٢)

ويقول المسيح « بل من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات » (مت ١٠ : ٣٢)

وجاء فى إنجيل يوحنا « أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى »
(يو ٥ : ٤٣)

ويقول بولس « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح » (اف ١ : ٣)

ثم يقول أن هذه الآيات الواردة فى الأناجيل والأسفار الأخرى توضح

وتشهد أن الله هو الاب ليسوع المسيح الإبن . وهذا الإستدلال باطل من عدة وجوه :

١ — أن لفظ ابن يستعمل فى الإنجيل والعهد القديم بمعانى كثيرة على سبيل المجاز ويعترف المسيحيون أنفسهم بهذا فيقول القس إبراهيم جبرة :

« فقد استعملت كلمة ابن فى عدة مواضع بمعانى مختلفة نقر بها كلها ونعترف بصحتها وننصر على إستعمالها دون أن تسىء إلى مفهومها أو نحمله غير ما أريد به »(١) .

فمثلا قيل « آدم ابن الله » (لو ٣ : ٣٨) أى أن الله خالقه والملائكة أيضا دعوا أبناء الله « وكان ذات يوم أنه جاء بنوا الله ليمثلوا أمام الرب » (أى ١ :) والبشر أيضا أبناء الله بالخلقة لأنه تعالى خالقهم .

يقول أشعيا « ياأب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا من عمل يديك »
(١ ش ٦٤ : ٧)

فدعى آدم والملائكة والبشر أبناء الله لأن الله خالقهم فهى بنوة بالخلقة ثم هناك أيضا بنوة الوطن « بنو صهيون » (مز ١٤٩ : ٢) وأبناء النيل .

وهناك البنوة بالتبنى كما ذكر يسوع أنه ابن يوسف النجار (لو ٣ : ٢٣) .

وإن كان يوسف ليس أبا ليسوع ولكنه خطيب مريم ولكنه اعتبر أبا واعتبر يسوع إبنا .

وهناك البنوة بالانتساب والتبعية مثل « ابن ابليس » (١ ع ١٣ : ١٠) أى الذى اتبع ابليس . إذن فالبنوة هنا بنوة مجازية تستعمل للتعريف فى مواضع مختلفة وأنواع متباينة بصفة عامة .

---

(١) ابن الله ص ٣٤ ...

أما إذا كان إطلاق هذا اللفظ سببا للالوهية لكان كل من أطلق عليه هذا اللفظ فى العهد القديم إلهاً .

وبذلك يصبح إسرائيل وسليمان وافرايم وغيرهم آلهة لأنه جاء فى سفر الخروج « وتقول له هذا ما يقول الرب إبنى بكرى إسرائيل » (خر ٤ : ٢٢) فأطلق على إسرائيل ابن الله .

وجاء فى سفر أرميا « إنى صرت أبا لاسرائيل وأفرايم هو بكرى » (ار ٣١ : ٩) فأطلق على افريم ابن الله البكر .

وجاء فى سفر صموئيل الثانى قول الله فى حق سليمان « وأنا أكون له أبا وهو يكون لى إبنا » (١ خب : ٢٢) .

ولقد فهم هذا المعنى المجازى للفظ الابن أوريجنس (١٨٥ : ٢٥٤ م) وهو زعيم الاتجاه العقلى فى العقيدة المسيحية ولذا عندما تناول ابن الله بالشرح حمل بنوة المسيح لله وأبوةالله للمسيح على المعنى المجازى وهو قرب المنزلة ، ومعنى المسيح ابن الله أى القريب من الله فى الدرجة والمنزلة وأن منزلته فى الوجود تلى منزلة الله .

وهذا المعنى مما تحتمله اللغة وورد به الاستعمال اللغوى . فالأبوةوالبنوة كما تحمل على المعنى الحقيقى وهو المتبادر من اللفظ تحمل على معنى آخر ثانوى الذى يسمى فى العرف مجازيا[1] .

وهذا مادعى الأستاذ العقاد إلى القول « وغنى عن القول أن هذه الأسماء إنما كانت تفهم كما تعود قراء الكتب الدينية أن يفهموها فى ذلك الحين » .

---

(١) د. محمد البهى : الجانب الإلهى فى التفكير الفلسفى ص٨٣ : ٨٤ .

ولم يوحى السيد المسيح لتلاميذه أن يفهموا منها غير ذلك حين يذكرون ابن الله وابن الإنسان[1] .

٢ — أن لفظ الأب استعمل أيضاً بطريق المجاز لأنه جاء فى إنجيل يوحنا قول المسيح عليه السلام فى خطاب مريم هكذا « لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى ولكن إذهبى إلى أخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » (يو ٢٠ : ١٧)

ويعلق على ذلك الشيخ رحمة الله الهندى بقوله : فسوى عيسى بينه وبين الناس فى هذا القول : « أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » لكيلا يتقولوا عليه بالباطل فيقولوا إنه إله أو ابن إله . فكما أن تلاميذه عباد الله وليسوا بأبناء الله حقيقة بل بالمعنى المجازى . فكذلك هو عبد الله وليس بابن الله حقيقة[2] .

وكان من عادة المسيح عليه السلام أنه إذا عبر عن نفسه كان يعبر بابن الإنسان غالباً .

فقد جاء فى إنجيل متى « وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه » (مت ٨ : ٢٠)

وظاهر أن ابن الإنسان لا يكون إلا إنساناً وشارل جنيبير يقول : « لا يسمح لنا أى نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى . فتلك لغة لم يبدأ فى استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية »[3] .

(١) العقاد : عبقرية المسيح ص ٢٠٥ .
(٢) إظهار الحق جـ ١ ص ٣٤٩ .
(٣) د. عبد الحليم محمود : أوربا والاسلام ص ٣٢ .

فالمسيح إذن ليس إلها ولا ابن إله وإنما هو إنسان أرسله الله رسولا إلى بنى إسرائيل . هذه هى الحقيقة التى عبر عنها عيسى بنفسه . أنها وإن كانت تبدو عسرة الفهم عندهم ولكنها تحتاج لتأمل هادىء رزين وبحث منصف دقيق بعيداً عن التشنج والعصبية والتحيز . وعندئذ ينكشف الحق وتتجلى الحقيقة وهو أن المسيح ابن الله بمعنى البنوة الروحية . فالله سبحانه وتعالى لا والد له ولا ولد لأنه وحده الأزلى الأبدى .

ولهذا جاءت الأديان السماوية بالدعوة إلى الوحدانية الخالصة التى لاتشوبها شائبة ثم إنحرف عنها أتباعها إلى ضلالات لم تجىء بها .

ولقد أبطل القرآن الكريم فرية أن المسيح ابن الله بقوله (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون . إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله . والمسيح بن مريم . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) . (التوبة ٣٠ - ٣١)

وقال سبحانه وتعالى (وقالوا إتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا . أن دعوا للرحمن ولدا . وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا . إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) . (مريم ٨٨-٩٥)

فالله إله واحد لنا جميعاً وأباً واحداً لنا جميعا لاينفرد بأبوته أحد ولايحتكر محبته أحد . بل أنه سبحانه وتعالى يشمل بأبوته الحانية كافة المؤمنين العاملين بوصاياه

وبعد استدلالهم بأن المسيح ابن الله من الإنجيل يقولون أنه ورد فى الإنجيل ما يفيد الوحدة الثابتة بين الآب والابن «أنا والآب واحد».

(يو ١٠ : ٣٠)

وهذا قول باطل ظاهر الفساد لأن مثل هذا القول وقع فى حق الحواريين ففى نفس إنجيل يوحنا يقول المسيح «ليكون الجميع واحد كما أنك أنت أيها الآب فى وأنا فيك . ليكن تراهم أيضا واحد معنا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى». (يو ١٧ : ٢١)

«وأنا أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحد كما أننا واحد»

(يو ١٧ : ٢٢)

«أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد». (يو ١٧ : ٢٣)

فقوله ليكون الجميع واحد وقوله ليكونوا واحد كما أننا نحن واحد . وقوله ليكونوا مكملين إلى واحد . يدل على إتحادهم وسوى فى القول الثانى بين إتحاده فيما بينهم وظاهر أن إتحاده فيما بينهم ليس حقيقيا . فهكذا إتحاده بالله . بل الحق أن الاتحاد بالله عبارة عن إطاعة أحكامه والعمل بالأعمال الصالحة .

وفى نفس هذا الاتحاد نجد المسيح والحواريين وجميع أهل الإيمان متساوون على الاقدام وإنما الفرق باعتبار القوة والضعف فاتحاد المسيح بهذ المعنى أشد وأقوى من إتحاد غيره[1] .

فقول المسيح أنا والآب واحد محمول معناها على التفانى فى الولاء والطاعة لله والتسليم المطلق له حيث لا يرى الإنسان لنفسه حياة ولا وجود ولا مشيئة إلى جانب حياة الله ووجوده ومشيئته . وهذا ما ينطق به لسان الحال عند

(١) رحمة الله الهندى : إظهار الحق جـ١ ص ٢٥٥ [illegible] (٢)

بعض العارفين بالله حين تستبد بهم نشوة التوافق مع الله فلا يرون لذواتهم وجوداً . بل هي قطرة ماء ألقت بها السحب فى عباب المحيط[1] .

ثم يقولون جاء فى إنجيل يوحنا قول عيسى « أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العـــالم » (يو ٨ : ٢٣) بمعنى أن عيسى إله نزل من السماء وتجسد . وهذا القول باطل لأن عيسى قال مثل هذا القول فى حق تلاميذه .

فقد جاء فى نفس الانجيل « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولـكن لأنـكم لستم من العالم بل أنا اخترتـكم من العالم لذلك يبغضكم العالم .

(يوحنا ١٥ : ١٩)

فقال فى حق تلاميذه أنهم ليسوا من العالم وسوى بينه وبينهم فى عدم الكون من هذا العالم. فلوكان هذا مستلزما للألوهية لزم أن يكون كل التلاميذ آلهة والعياذ بالله . بل التأويل الصحيح أن اليهود طالبوا الدنيا ومتاعها . والمسيح طالب الآخرة ورضاة الله ، وهذا المجاز شائع على ألسنة الزهاد بأنهم ليسوا من هذه الدنيا .

إن الدارس المتعمق للأناجيل لا يرى فيها ما يحدث عن المسيح بأنه الله أو ابن الله بالمعنى الحقيقى وليس فى الأناجيل أى نص يشير صراحة أن المسيح أو حوارييه وتلاميذه عرفوا شيئا عن هذه الوجوه . فما عرف عنه أحد ولا خاطبه أحد فى حياته بأنه الله أو أنه ابن الله وإنما جاء كل ذلك بعد أن أدى المسيح رسالته وفارق هذه الدنيا ودخل بولس المسيحية . واستعار بولس من فلاسفة اليونان فكرة إتصال الإله بالأرض عن طريق [illegible]

(١) عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والانجيل والتوراة ص ٢٢٣

الإبن أو الكلمه . وكانت الفلسفة اليونانية من أهم العوامل التى رسمت هذه الصورة للمسيح ولكن علماء المسيحية لايعترفون بهذا ويرون أن الأسس التى أدت إلى إتخاذ القرار بألوهية عيسى هو ما ورد فى كتبهم المقدسة .

والحقيقة أنه لم يرد فى الأناجيل عن تجسد الله أو الكلمة إلا ما جاء فى مطلع إنجيل يوحنا « فى البدء كان الكلمة والكلمة عند الله » (يو ١ : ١)
« والكلمة صار جسداً وحل بيننا » (يو ١ : ١٤)

وهذا النص تثار حوله كثيراً من الشكوك فلقد فهم المسيحيون من هذا النص أن الله هو الكلمة وأن الكلمة هو الله . وأن الكلمة خالق كل شىء وأنه صار جسداً وحل بين البشر فى شخص المسيح ومفهوم هذا النص على هذا الوجه لايسلم به إلا مع كثير من التجوز الذى يحرج المنطق ويختل العقل عن وجوده[1] لأنه يجمع بين المتناقضات . فالكلمة هو الله والكلمة كان فى البدء . فهل لله بدء ؟

ثم يقولون والكلمة كان عند الله فكيف يتفق أن تكون الكلمة بدءا بمعنى الأزلية المطلقة وتوصف بأنها كانت عند الله ، ثم كيف ترتفع هذه العندية ويكون الكلمة هو الله لا عند الله .

إذن فما جاء فى الأناجيل صراحة بدون تأويل عن التجسد ورد فى إنجيل يوحنا . وانجيل يوحنا ذكريات خاصة عن المسيح ووضع كاتب هـــذا الإنجيل نصب عينه وهو يكتب هذا الإنجيل الدعوة للمسيحية من غير اليهود وهم الرومان فأخذ كلمة ابن الله الواردة فى الأناجيل ونادى بها إلهاً متجسداً .

---

(١) عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن والانجيل والتوراة ص ١٢٥ (مواجهة قضية التجسد)

(ب) ويستشهد المسيحيون لإثبات ألوهية عيسى بآيات من العهد القديم قال أشعيا « ها العذراء تحبل وتلد إبنا وتدعوا إسمه عمانويل »

(ش ٧ : ١٥)

وقد أثبت متى هذه الآية فى إنجيله فقال بعد تسجيله لحديث الملاك مع العذراء « وهذا كله لكى يتم ما قيل للنبى القائل هوذا العذراء تحبل وتلد إبنا ويدعون إسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (مت ١ : ٢٣) .

فقالوا أن معنى أن متى أخذ نبوءة أشعيا شاهداً على أنها بشارة بميلاد المسيح من عذراء « فاسم عمانوئيل ينطبق على المسيح وحده لأن معنى الله معنا أو الله الظاهر لنا والمسيح هو الله معنا أو الله الظاهر لنا »[1] .

وليس المسيح مخصوصاً بهذا الإسم فإن عمانوئيل إسم تسمى به النصارى واليهود أولادهما وكذلك السريان يسمون أولادهم عمانوئيل والمسلمون وغيرهم يقولون للرجل الله معك . فإذا سمى الرجل يقول الله معك كان هذا تبركا بمعنى هذا الاسم[2] .

والواضح أن هذه النبوءة تبشر عن مولود سوف يأتى من عذراء فى عهد أشعيا .

ولكن مفسروا المسيحية لهم أن يأولوا كيفما شاءوا ولن أنقل كل ما كتب من تأويلات وتفسيرات للعهد القديم مما اعتبرته المسيحية تبشيرا بالمسيح وألوهيته فهذا البحث ليس مجاله .

---

(١) عوض سمعان : الله طرق إعلانه عن ذاته ص ٣٣ بالهامش .

(٢) ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى ص ٢٩٤ — ٢٩٥ .

ولكن أكتفي بقول الخطيب ، إن ما ورد في العهد القديم من مقولات يقال أنها تنبأت بظهور الله أو ابن الله متجسدا في صورة إنسان هو المسيح .

هذه المقولات ليس بينها وبين المسيح وميلاده من صلة وإنما كان الذى يسوقها في هذا المساق ويوردها هذا المورد هو لفظه واحدة عابرة يتصيدها المتصيدون فيبنون منها قصورا في الهواء مثل كلمة ذبيحة وكلمة عذراء حتى ولو كانت الذبيحة حملا وكانت العذراء فراشة(١) .

ولنسأل لماذا لم يفهم أنبياء بني إسرائيل هذه النبوءات بأنها تبشر بتجسد الكلمة ولماذا لم يتكلم الحواريين بأن المسيح هو الله ، لأنهم كانوا يعلمون أن هذا مخالف للتوراة وأن القول بأن إنساناً أصبح إلهاً يعتبر تجديفا يستحق قائله الرجم في الحال .

إذن فما استدلوا به من آيات الكتاب المقدس ليثبتوا به تجسد الكلمة وألوهية عيسى . أدلة واهية وتحميل لمعاني النصوص أكثر مما تحتمل وتنطق به صريح ألفاظها . فالمسيح ليس إلهاً ولا إبن الله وليس إلا بشراً سويا .

(ح) ويستدلون على ألوهية عيسى بأن ولادته كانت على نهج غير الذى ألفته البشرية/وما جرى على يديه من معجزات . فيقول الدكتور هاني رزق: جاءت ولادة يسوع ابن الانسان بطريقة إعجازية مخالفة عن الولادة الشائعة وهي التي تنتج من اجتماع الرجل بالمرأة كولادة جميع البشر ليكونوا بذلك نتاج الطبيعة الانسانية . إذ كانت ولادته من العذراء مريم التي حبلت من الروح القدس روح الله .

(١) عبد الكريم الخطيب : المسيح في القرآن ص ١٧٩

على ذلك فالمولود من العذراء لم يكن إنساناً مثل كافة البشر إذ لم يكن من مشيئة جسد رجل بل من مشيئة روح الله . آخذا الصورة الإنسانية التجسدية من بطن العذراء .

ولقد قام يسوع المسيح ابن الانسان بمعجزات ميزته عن جميع الرسل والأنبياء وكافة البشر لتظهر ولتشهد هذه الأعمال على الطبيعة اللاهوتية . إذ أصبح عنده كل شيء مستطاعا فخرج بذلك عن نطاق القدرات الانسانية المحدودة وحتى عن قدرات الأنبياء والرسل فليس هناك نبي أو رسول فتح عين الأعمى كما أنه ليس هناك من أقام سلطانه الموتى من بين الأموات[1] .

يقول القديس إثناسيوس الرسولي: لذلك وهو نازل إلينا صاغ لنفسه جسداً من عذراء لكي يقدم للجميع برهانا على لاهوته باعتبار أن من صاغ هذا الجسد هو أيضاً مكون سائر الأشياء لأنه من ذا الذي يرى جسدا يخرج من عذراء وحدها بلا رجل ولايدرك أن من ظهر في هذا الجسد لابد أن يكون هو صانع ورب باقي الأجساد أيضاً أو من ذا الذي يرى مادة الماء تتحول خمرا ولايدرك أن من فعل هذا لابد أن يكون هو رب وصانع كل الماء[2] .

وحاصل كلامهم فيؤول إلى التمسك بأن عيسى إله لولادته بدون ذكر ولما كان يجريه الله سبحانه وتعالى على يديه من خوارق العادات ، وقالوا قد علمنا خروج هذه الأمور عن مقدور البشر فينبغي أن يكون المقتدر عليها موصوفا بالألوهية .

---

(١) يسوع المسيح ص ١٥٩ .
(٢) تجسيد الكلمة ص ٦٥ .

وولادة عيسى عليه السلام وإن كانت غريبة على طبع الدنيا ومألوف عاداتها فإنها ليست غريبة على القدرة الإلهية التي تخلق النطفة وتودعها رحم الأم وتنتقل بها من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ثم إلى عظام مكسوة لحماً إلى جنين مصور في صورة إنسان له جوارحه وأعضاؤه.

ثم لو كان الميلاد من غير أب طريق إلى الألوهية لفاز بها آدم عليه السلام. فقد ولد من غير أب ومن غير أم.

يقول الإمام محمد عبده، ولا جدال أن خلق آدم أعجب من خلق عيسى لأن عيسى إنفصل من مريم وهي مخلوقة من جنسه أما آدم فإنه إنفصل من تراب[1].

ويقول الفخر الرازي، إذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق الله عيسى من دم مريم بل هذا أقرب إلى العقل فإن تولد الحيوان من الدم الذي يجتمع في رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس[2].

ويقول الزمخشري: والوجود من غير أب وأم أخرق للعادة من الوجود بغير أب[3].

فولادة عيسى من غير أب كان أمراً مقضياً من الله سبحانه وتعالى (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) (مريم: ٣٥).

---

(١) تفسير المنار ج٣ ص ٣٢٩.
(٢) تفسير الرازي ج ٨ ص ٧٩.
(٣) الزمخشري: الكشاف ج١ ص ٢٨١ — ٢٨٢.

فلا يكون دليلا أو سبباً للشك بشأن عيسى وإنما هو آية من آيات الله لعالم البشرية فى إثبات قدرة خلقه من غير أب كما خلق الله حواء من غير أم وخلق آدم من تراب .

(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) . (آل عمران : ٥٩)

ونحن المسلمون نؤمن بأن عيسى عليه السلام هو عبدالله ورسوله وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه وأن مريم البتول نشأت على الطهر والبعد عن الدنس . ولما بلغت مبلغ النساء أرسل الله إليها جبريل على صورة فتى فأخذها الرعب منه . وقالت له إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا فأعلمها أنه مرسل من الله تعالى ليهب لها غلاماً ذكيا . وتعجبت من ذلك كيف يكون لها ولد وهى عذراء فهون عليها الأمر . وأحاله إلى قدرة الله الذى لا يعجزه شىء ونفخ الله فى جيب درعها فإذا هى حامل ثم ولدت يسوع عيسى بن مريم رسولا من الله كلم الناس فى المهد فهو كلمة الله ، أى المكون بأمر الله فمعنى وصف عيسى بالكلمة أنه المكون بكلمة الله وأمره الذى هو كن من غير واسطة ولا نطفة .

والكلمة بهذا المعنى ليست خاصة بعيسى عليه السلام . فكل شىء فى هذا الوجود هو كلمة الله بهذا المفهوم . كما أن المعجزات التى أجراها الله على يد عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وشفاء الأعمى وإبراء الأبرص لا تخرجه عن دائرة البشر ، لأن تأليه البشر الذين صنعوا المعجزات هو فى الواقع نسيان لأصل المعجزات ومجريها وصاحبها الحقيقى .

فعيسى وغيره من الأنبياء عليهم السلام ليسوا إلا آلات وأدوات فى

يد الرحمن سخرهم لإظهار المعجزات ، على أنه لو كانت المعجزات موجبة للألوهية لكان أولى بها من عيسى موسى عليه السلام وما كان يجرى على يديه من الأمور العظام . مثل قلب العصا ثعبانا وشق البحر وغير ذلك ، ولفاز بها حزقيال الذى أحيا ألوفاً من الأموات ، (حز : ٣٧)

ولفاز بها إيليا الذى أحيا ابن الأرملة . (١ مل ١٧:٢٢:٢٣)

كما أن عيسى أيد نفرا من الحواريين بإحياء الموتى . فإذا كان عيسى بإحيائه ميتا هو الله فلماذا لا يكون كل من أحيا ميتا أمثال حزقيال وأرميا والحواريين إلهاً ولما تظلم بعضا دون البعض .

الفصل الثانى

إبطال ادلة النصارى فى دعوى التجسد

إن القول بتجسد الآله فى عيسى انتقل إلى العقيدة المسيحية بدخول بولس فيها فقد كان عارفا بالفلسفة اليونانية وعظات الأحبار . ووجد الميدان خاليا له لوضع بذور الوهية عيسى . فالعقول الوثنية التى دخلت المسيحية من الفرس والروم والمصريين كان ومازال عالقا بها فكرة حلول الآلهة فى البشر فالمصريون يعتقدون بأن الاسكندر أبنا لآمون واتباع فيثاغورس يعتقدون فى رئيسهم فيثاغورس أنه ابن الآله أبو لون فلما نادى بولس بالوهية عيسى . وكانت الجماهير قد نفرت من اليهودية لتعصبها ووجدت فى القول الجديد ملجأ لها وبخاصة أنه قريب من إعتقاداتهم السابقة التى الفوها عند آبائهم وأجدادهم . أضف إلى ذلك أن الإنجيل الموحى به إلى عيسى فقد أو ضاع . كما فقد الكثير من مراجع المسيحية الأصلية والكثير من رجالها نتيجة للاضطهاد وعهود الضعف التى مرت بها المسيحية ودعوة عيسى عليه السلام، فأصبحت مصادر المسيحية واهنة أو معدومة . فكانت الفرصة سانحة أمام المسيحيين للقول بأن المصلوب هو الآله وليس بشر وذلك لكى يخرجوا عيسى من اللعنة التى حلت عليه بسبب صلبه على خشبة الصليب .

وسوف أبطل فى هذا البحث دعوى التجسد بآيات من التوراة والإنجيل وأقوال علماء النصرانية وعلماء الاسلام وآيات القرآن الكريم .

وقد يعترض على أنى احتج بالتوراة والإنجيل لابطال الوهية عيسى . مع أنى أقول بالتحريف فيهما ولكننى أقول أن التحريف لم يشمل التوراة كلها والإنجيل كله . بل اعترف بتحريف البعض دون البعض [illegible] فيهما بعض كلمات من الحق ولمعات خاطفة من الحكمة تتألق كالماس يجدها قارىء التوراة والإنجيل غارقة فى خضم من التشويش والأكاذيب . ولقد صرح العهد القديم بأن الله واحد لا شريك له وليس كمثله شىء ولا يرى

ولا يقدر أحد أن يراه . وكل من يزعم أن هناك إلها غيره فزعمه كاذب وإلهه باطل . وقد تأكد ذلك على لسان كل أنبياء العهد القديم . قال موسى « أسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد » (تث ٦ : ٤) .

وقال داود « يارب ليس مثلك ولا إله غيرك حسب كل ماسمعناه بآذاننا » (١ خب ١٧ : ٢٠) .

وقال أشعيا « أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض » (١ ش ٣٧ : ١٦) .

وقال نحميا « أنت هو الرب وحدك » (نح ٩ : ٦) .

ولقد ورد فى أشعيا وسفر التثنيه إعلان الله نفسه عن وحدانيته فقال : « أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى » (أش ٤٤ : ٦) . أنا أنا هو وليس إله معى أنا أميت وأوحى » (تث ٣٢ : ٣٩) .

فالتوراة تصرح بأن الله واحد لاشريك له وليس كمثله شىء . والمسيح صرح بأنه ليس ناسخا للتوراة . فبناء على تصريح التوراة بالوحدانية وعـــدم مماثلة الله للبشر وتصريح المسيح بعدم نسخة للتوراة تكون المماثلة وعدم الرؤيا التى نصت عليهـا التوراة لله عز وجل ملزمة لجميـع النصارى الزاما تاما ، ويكون قولهم بالوهية عيسى لا أساس لهـا من الصحة .

أما الأناجيل فهناك الكثير من الآيات التى تقرر وحدانية الله وتفيد أن المسيح بشر مخلوق بواسطة الله وأن الله أرسله إلى بنى إسرائيل . وفى الأناجيل مئات من كلمات عيسى عليه السلام . يتحدث عن الله بأنه واحد ولم يتحدث عنه بأنه إله مثله فقد جاء على لسان عيسى « الرب الهنا رب واحد » (مر ١٢ : ٢٩) .

« إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم » يو ٢٠ : ١٧) ولم يدع عيسى قط أنه عنصر فوق طبيعة البشر . ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعتهم وكان قانعا بنسبة العادى أبنا لمريم منسوبا من جهة الأب إلى يوسف النجار وأنه رسول إلى بنى إسرائيل . ولم يزد شيئاً فى داعوه على ماادعاه غيره من الأنبياء عليهم السلام . فلقد ورد فى إنجيل متى « وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية . فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » (مت ١٩ : ١٦ : ١٨) .

فالمسيح يعارض أن يطلق عليه لفظ الصالح ولو كان إلها لما كان لقوله هذا معنى ولكان عليه أن يبين لا صالح إلا الأب وأنا والروح القدس وقد جاء فى إنجيل يوحنا قول عيسى « أنى من عند الله خرجت » (يو ١٦ : ٢٧) .

وجاء أيضاً قوله « لأن أبى أعظم منى » (يو ١٤ : ٢٨) .

وهذه الآيات تدل على أن المسيح إنسان مخلوق وليس باله . وأن جميع مايقوله وحى من الله والمسيح يعترف بذلك بقوله « الكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى » (يو ١٤ : ٢٤) .

وكيف يكون المسيح إلها وهو الذى قالت عنه الأناجيل :

ــ أنه مولود من امرأة « لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك لأن الذى حبل به فيها هو الروح القدس فستلد ابنا وتدعو اسمه يسوع »
(مت ١ : ٢٠ : ٢١)

ــ أنه مختون « ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبى سمى يسوع » (لو ٢ : ٢١) .

ــ وكان يجوع ويعطش « ولم يأكل شيئاً فى تلك الأيام ولما تمت جاع أخيراً » (لو ٤ : ٢) .

— كان يبكى : « بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٥) .

— يحزن « فقال لهم نفسى حزينة » (مت ٢٦ : ٣٨) .

— لو كان المسيح إلها لما إستغاث باله آخر عندما صلب وقال الهى الهى لماذا تركتنى . فقد ورد فى إنجيل متى « ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم : ايلى ايلى أى الهى الهى لماذا تركتنى » (مت ٢٧ : ٤٥) .

فمن هذه العبارات يتضح لنا أن عيسى كان بشرا رسولا وهذا ما عرفه به حواريوه وتلاميذه . واليهود المعاصرين له ما عرف عنهم أنهم قالوا عنه أنه إله ظهر مستترا وراء جسد لأنه ليس من المعقول أن مثل هذا الأمر العظيم كان يخفيه المسيح عن حوارييه . والأناجيل تقرر بأن رؤية الله غير ممكنة « فالله روح » (يو ٤ : ٢٤) .

« والروح ليس لحم وعظام » (لو ٢٤ : ٣٩) .

لذلك فالله هو « غير المنظور » (كو ١ : ١٥) .

يقول يوحنا « الله لم يره أحد » (يو ١ : ١٨)

ويقر بولس بذلك فيقول « الله لم يره واحد من الناس ولا يقدر أن يراه » (١ تى ٦ : ١٦) .

وتتحدث التوراة عن هذه الحقيقة فتورد حادثة تجلى الله على الجبل وأنزاله الوصايا العشر على موسى عليه السلام فتقرر للشعب قائلة « فكلم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً » (تث ٤ : ١٢) .

ثم تحذر الشعب من وهم تصور رؤية الله فتقول لهم « فاحتفظوا

جداً لأنفسكم فإنكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب »
(تث ٤ : ١٥) .

وحتى موسى الكليم نفسه فإنه أيضاً لم ير الله فتتحدث التوراة عن تجلى الله لموسى وسط لهيب نار عليقة ومخاطبة الله لنبيه ثم تقرر أن موسى طلب من الله أن يكشف نفسه له ولكن الله خاطبه قائلا « لا تقدر أن ترى وجهى »
(خر ٣٣ : ٢٠) .

ويورد القرآن الكريم تلك الحادثة فيقول « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى . ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ، وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين »
(الأعراف : ١٤٣) .

إبطال التجسد بآيات من القرآن الكريم :

جاء الإسلام فرأى المسيحيون يقولون بتجسد الإله وأن هذا الإله المتجسد يسمى ابن الله ورأى المسيحيون يعتقدون أن مريم أما تلد إلها فجاء قوله تعالى « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير »
(المائدة : ١٧) .

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم »
(المائدة : ٧٣) .

والقرآن الكريم ينفى نفيا قطعيا أن أحد من أنبياء الله أن يكون داعية

فى الناس أنه إله وابن إله وينفى عن عيسى عليه السلام أنه أدعى لنفسه هذه الدعوى فيقول القرآن الكريم على لسان عيسى « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا » (مريم : ٣٠ — ٣١).

وهذا ما يقرره عيسى عليه السلام يوم يجمع الله الرسل فيسأل عيسى عن هذه القرية الباطلة « وإذا قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » (المائدة ١١٦ : ١١٧).

فالمسيح الذى يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذى يحدثنا عنه بولس فالمسيح فى القرآن إنسان من البشر اصطفاه الله كما اصطفى غيره من الأنبياء وكل ما بينه وبين البشر من اختلاف أنه ولد بدون أب وليس ذلك بعزيز على الله فهو من مخلوقات الله رسولا عظيما من رسل الله إبنا من أبناء الله الصالحين وكلمة من كلمات الله بعثه إلى الأرض لهداية بنى إسرائيل .

إبطال التجسد بأقوال علماء ومفكرى المسيحية :

إن الدارس للمجامع المسكونية يتضح له أنه أتى على المسيحية فترة من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها والغالب على كل نحله سواها . فآريوس فى القرن الرابع الميلادى . أنكر أن عيسى إله أو ابن إله وكان يقول كيف تتفق وحدة الإله مع جعل عيسى إلها أيضاً . نعم هو شبيه للاله

على معنى أنه قريب منه في الدرجة والمنزلة . ولكن ليس مساويا له [١] .
ولم يكن أريوس هو الوحيد الذى نادى بالتوحيد من المسيحيين الأوائل فقد كان أسقف نيقومدية وأسقف مقدونية وفلسطين وكنيسة أسيوط على مذهب أريوس [٢]. وكان بولس الشمشاطى [٣] بطريرك انطاكية واتباعه يذهبون إلى التوحيد المجرد وإلى أن عيسى عبد الله ورسوله خلقه الله تعالى فى بطن مريم من غير ذكر . وأنه إنسان لا الهية فيه . وكان يقول لا أدرى ما الكلمة ولا الروح القدس . ومن قبل آريوس والشمشاطى قال الحواريون وتلاميذ عيسى بأنه بشر رسول فمتى يقول « هذا يسوع النبي الذى من ناصرة الجليل » (مت ٢١ : ١١) .

يقول يوحنا « أن هـذا هو بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم »
(يو ٦ : ١٤) .

ويقول لوقا « أيها الرجال اسمعوا هذه الأقوال ليسوع الناصرى رجل قد تبرهن من قبل الله بقوات وعجائب » أما الكتاب الغربيين أمثال كالثوف فإنهم يروا أن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل . وأن هذه الصورة من إنتاج الفلسفة العقلية التى كانت أراؤها شائعة وتكاد تكون عالمية فى ذلك الوقت . يضاف إلى ذلك أختلاط هذه الفلسفة بعالم التنبؤ عند اليهود وعظات الأحبار . ومن هذه الأوضاع جاءت صورة المسيح التى ظهرت فى العهد الجديد [٤] .

---

(١) د. محمد البهى : الجانب الالهى ص ٧٦ .
(٢) الأمام محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ص ١٠٨ .
(٣) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ٤٩ .
(٤) د. أحمد شلبى : المسيحية ص ١٢٨ .

وهذا أميل لودفيج يقول عن المسيح: لم يفكر يسوع فى أنه أكثر من نبى. ولم يحدث أبداً من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمال فوق خواطر البشر وآمالهم. وما كان يسوع ليذهب إلى أبعد من ذلك فيدعى أنه المخلص المنتظر. فإذا قال الناس أنه أحـــد قدماء الأنبياء راقه ذلك موجهاً أفكارهم إلى ملكوت السموات وإذا ما قال أنه ابن الرب كان ذلك محمولا على أنه ابن الرب كجميع الناس يشعرون بانطواء أنفسهم على القوى المبدعة التى يشتق منها وجودنا والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن تواضعه بقوله عن نفسه أنه ابن الإنسان(١).

وتولستوى يرى أن الشراح والمفسرين للمسيحية هم الذين وضعوا تلك الصورة المشوهة للمسيحية والقول بالوهية عيسى فيقول «أنه ينبغى لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقية كما كان يفهمها هو أن نبحث فى تلك التفاسير والشروح الطويلة الكاذبة التى شوهت وجه التعليم المسيحى حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام. إن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهاً دون أن يقيموا على ذلك الحجة ويستندون على أقوال لاتدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله أو ابن الله(٢)».

والخلاصة أن زعم المسيحيين أن الكلمة أى فكر الله تجسدت فى المسيح الذى حل فى عيسى فأصبح عيسى ذو طبيعتين كما يقول الكاثوليك. أو ذو طبيعة واحدة كما يقول الارثوذكس هو إعتقاد خاطىء وفاسد من الوجهة العقلية. لأنهم صوروا الله بصورة بشرية تتقدس عنها ذاته تعالى وتنزه فجعلوا الله عقلا وجعلوا لهذا العقل فكراً ولهذا الفكر نطقاً. وهذا النطق هو الكلمة.

---

(١) فتحى عثمان: المسيح فى الأناجيل الأربعة ص ٢٣٩.

(٢) محمد مجدى مرجان: الله واحد أم ثالوث ص ١١٠.

وهذا كشف تخيلي لذات الله ونظر فى كنهها . والقرآن الكريم علمنا أن نبتعد بأذهاننا عن هذا التصور حين أرواح أفكارنا عن البحث عن ذلك وقال « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (الشرى : ١١) .

كما أنهم يزعمون أن كلمة الله كلي فكر الله أى هى عقل الله أى أن البشر فى زعمهم استطاعوا أن يميزوا بين الله وفكرة وهذا تخبط ومغالطة لأنهم أنزلوا الله تعالى منزلة البشر الذى يقبل التفسير والتحليل . إن الإنسان ليعجز عن تحليل نفسه ومعرفة كنهها . فكيف يعقل أن يتعرف الإنسان الذى جهل نفسه على ذات خالقه وكنهها .

وإذا كان الله لم ينتج إلا كلمة واحدة ثم عقم عقلة بعد ذلك فلم ينتج كلمة اخرى كما يقولون .

وبذلك أصبح المسيح هو الكلمة الأولى والعالم كله هو منتوج هذه الكلمة . وهذا القول واضح البطلان لأن معى ذلك أن المسيح سيشارك خالقه فى الألوهية والحال أنه لوكان فيهما أى السموات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا .

وكيف يكون المخلوق خالقاً للعالم والمصنوع صانعاً ؟

وكيف تجسدت الكلمة وظهرت فى صورة مرئية أى أن الله اللا محدود كيف تواجد فى الوجود الإنسانى المحدود أو كيف تواجد الإلهى اللا محدود فى الوجود الإنسانى المحدود أى كيف يحوى ويشمل الوجود المادى وجود الإله اللا محدود مكانا وزمانا . ومن المعروف لنا أن الجزء لا يحوى الكل .

يقول ابن تيمية : والمتحد بالمسيح أهو ذات رب العالمين أم صفة من

من صفاته فإن كان هو ذات رب العالمين يكون المسيح هو الأب نفسه وهذا مما اتفق النصارى عليه فهم يقولون هو الله وهو ابن الله كما حكى الله عنهم ولا يقولون هو الأب والابن والأب عندهم هو الله وهذا من تناقضهم . وإن قالوا المتحد بالمسيح صفة الرب فصفة الرب لاتفارقه ولا يمكن إتحادها ولاحلولها فى شىء دون الذات . وأيضاً فالصفة نفسها ليس هى الإله الخالق رب العالمين بل هى صفة ولا يقول عاقل وإن كلام الله أو علم الله أو حياة الله هو رب العالمين الذى خلق السموات والأرض . فلو قدر أن المسيح هو صفة الله نفسها لم يكن هو الله ولم يكن هو رب العالمين ولا خالق السموات والأرض(١)

فالقائلين بالطبيعة الواحدة مذهبهم باطل لأنه يستلزم إنقلاب القديم بالحادث لأن الاتحاد بين الجوهر اللاهوتى والناسوتى إذا كان حقيقياً كان أقنوم الابن محدداً متناهيا وكل ماكان كذلك كان قبوله للزيادة والنقصان ممكنا وكل ما كان كذلك كان إختصاصه بالمقدار المعين لتخصيص مخصص وتقدير مقدر وكل ماكان كذلك فهو محدث فيلزم أن يكون أقنوم الابن محدثا ويستلزم حدوثه حدوث الله .

ولقد تدارك الارثوذكس هـذا فقالوا أن طبيعة كل من اللاهوت والناسوت باقية على حالها ولم يحصل مزج ولاخلط بينهما وهذه العلاقة بين والناسوت علاقة تفوق عقولنا المحدودة(٢). وهذا إعتراف باستحالة الاتحاد وحينئذ لايبقى إلا أن يكون هذا الاتحاد بمعنى التعلق المعنوى (مثل تعلق

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٢ ص ١٥٦

(٢) عبد الرحمن الجزيرى : أدلة اليقين ص ٢٢٣ — ٢٢٤
— عبد الكريم الخطيب : المسيح فى القرآن ص ٢٦٣ .

الروح بالبدن وبذلك يكون معنى إتحاد الإله بجسم عيسى تعلق قدرته بإيجاده كسائر المخلوقات بلا فرق إذ لا يعقل أن يكون تعلقه به كتعلق الارواح الممكنة بالأجساد إذ لو كان كذلك لكان ممكنا وهم يقولون فى صفات الله أنه واجب الوجود . وبذلك ينهار كل مابنوه على ذلك الاتحاد من أن عيسى هو الله من حيث لاهوته لأنه ما دامت حقيقة الإله القادر المجرد عن المادة باقية على حالها لم تتغير وحقيقة الجسم المادى القابل للأعراض البشرية باقيه على حالها لأن ذات الواجب إذا تأثرت مما تتأثر به الاجسام من عوارض اللذة والألم أصبحت ممكنة كسائر الممكنات فلا يمكن المسيحيين بعد هذا كله أن يحكموا بأن الاله تجسد أما مذهب القائلين بالطبيعيين فيقال فى إبطاله أن هذا الاتحاد أما بالحلول أو بغيره والحلول باطل لسببين :

أولهما :

لأن أقنوم الابن إذا حل فى جسم عيسى عليه السلام فلا يخلوا أما أن يكون باقيا فى ذات الله أيضاً أو لا يكون فان كان باقيا فى ذات الله لزم أن يكون ذات الله خالية منه فينتفى لأن إنتفاء الجزء يستلزم إنتفاء الكل .

وثانيهما :

أن أقنوم الابن لو حل فى جسم فذلك الحلول إما أن يكون على سبيل الوجوب أو سبيل الجواز الأول لأن ذاته أما أن تكون كافية إقتضاء هذا الحلول أو لا تكون كافية فى ذلك فإن كان الأول إستحال توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط فيلزم أما حدوث الله أو قدم المحل وكلاهما باطل وأن كان الثانى كان كونه مقتضيا لذلك الحلول أمراً زائداً على ذاته حادثا فيه فيلزم من حدث الحلول حدوث شيء منه فيكون

قابلا للحوادث وهذا محال . لأنه لو كان كذلك لكانت تلك القابلية من لوازم ذاته وكانت حاصلة أزلا . وذلك محال لأن وجود الحوادث فى الأزل محال .

ولا سبيل إلى الثانى لأنه على هذا التقدير يكون ذلك الحلول زائدا على ذات الأقنوم . فإذا حل فى الجسم وجب أن يحل فيه صفة محدثة وحلولها يستلزم كونه قابلا للحوادث . وهذا باطل .

وإن كان ذلك الاتحاد بدون الحلول فنقول أن أقنوم الابن إذا إتحد بعيسى عليه السلام فهما فى حال الاتحاد إن كانا موجودين فهما اثنين لا واحد فلا إتحاد وأن عدما وحصل ثالث فهو أيضاً لا يكون إتحاداً بل عدم الشيئين وحصول شيء ثالث فلم يبق اللاهوت لاهوتا ولا الناسوت ناسوتا بل صار جوهرا ثالثا لا لاهوت ولا ناسوت وأن بقى أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود لانه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر أن الاتحاد محال .

ولو سلمنا جدلا بأى من الصور التى ذكروها عن التجسد إلا يتناقض ذلك مع ما يقررونه فى كتبهم من أن وحدة الاقانيم الثلاثة الاب والابن والروح القدس أزلية غير قابلة للانفصال فلو فرض وانفصل واحد منهم لا يكون ذلك المنفصل إلها بأى حال من الاحوال وعلى هـــذا لا معنى لتخصيص أقنوم الابن بالتجسد لان ذلك إنما يكون مقبولا إذا أمكن إنفصاله .

أما إذا كان متصلا بالاقنومين الآخرين فإن الاتحاد يكون حاصلا من الاقانيم الثلاثة لانه يلزم من إتحاد الابن المتصل بأقنوم الاب وروح القدس إتحاد الاب وروح القدس حتما .

وحيث أنهم يقولون أن الاله بعد الاتحاد يتأثر بما تتأثر به الاجسام البشرية وذلك يوجب بالبداهة أن الاله المتحد بجسم عيسى بأقانيمه الثلاثة قد مات في حالة صلبه وأصبح العالم بدون مدبر إلا يعلم هؤلاء أن واجب الوجود لا يصح أن يكون محال للأعراض البشرية فالله منزه عن كل صفات الحوادث فهو الحي الذي لا يموت أبداً لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغفل عن تدبير خلقه طرفة عين .

إذن فدعوى النصارى بجميع طوائفهم أن من رأى المسيح فقد رأى الله عيانا ببصره في غاية المكابرة والكذب لأن الله لو كان اتحد بالمسيح أو حل فيه فهناك إحتمالين أما أن الناس رأوا هذا الاتحاد أو الحلول وعاينوه أو أنهم لم يروا هذا الاتحاد أو الحلول .

والاحتمال الاول مخالف للحس والشرع والعقل أما الحس فإن أحدا مما رأى عيسى عليه السلام لم ير فيه شيئاً يتميز به عن غيره من البشر غير المعجزات التي ظهرت على يديه مثل بقية الرسل ولم ير إلا بدنه الظاهر لم ير باطنه وما بداخله من أعضاء فضلا عن أن يرى روحه فضلا عن يرى الله إن قدر أنه كان متحداً به أو حالا فيه وأما الشرع فموسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء أخبروا أن أحداً لا يرى الله في الدنيا قال موسى مخاطباً ربه « أرني مجدك فقال أجيز كل جودتي قدامك وأنادي باسم الرب قدامك وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم وقال لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش » (خر ٣٣ : ١٨ : ٢٠) .

وأما العقل فإن رؤية بعض الملائكة وبعض الجن يظهر لرائيها من الدلائل والاحوال ما يطول وصفه فيكف عن رأى الله .

والاحتمال الثانى أنهم لم يروا هذا الاتحاد أو الحلول وأنهم لم يعرفوا الذى أمامهم هل هو الله أو إنسان فهذا فى غاية الامتناع حيث صار رب العالمين لا يميز بينه وبين غيره ولا يعرف الرائى إن هذا هو الله ، إذن فالقول بالطبيعة . الواحدة أو الطبيعتين كل هذه أقوال لم يتلقوها عن المسيح أو حواريه بل هى مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم فضلوا بها وأضلوا كما قال تعالى: « قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل »

(المائدة : ٧٧).

الفصل الثالث

تهافت عقيدة الصلب

يعتقد المسيحيون كما سبق أن بينا أن عيسى ابن مريم عليه السلام قد صلب وأنه مات على الصليب . ودافع الصلب عند اليهود هى العقوبة الطبيعية العادلة التى يستحقها كل من جدف على الله من اليهود ويسوع كان يهوديا وشهدوا عليه أنه جدف على الله . فاستحق بذلك عقوبة الصلب

أما دوافع الصلب عند المسيحيين فالأمر مختلف تماماً فهم يرون أنه من تمام رحمة الله على الناس رضى باراقة دم أبنه على خشبة الصليب فداء للبشرية وتكفيراً عن خطيئة آدم . لأنه من الحكمة الأزلية حسب إعتقادهم أن ينتقم الله من عبده العاصى آدم الذى ظلمه وإستهان بقدرة فلم يرد الله الانتقام منه لاعتلاء منزلة السيد وسقوط منزلة العبد . أراد الله أن ينتصف من الإنسان الذى هو إله مثله فانتصف من خطيئة آدم بصلب عيسى المسيح الذى هو إله متساو معه فمات على الصليب وقبر ثلاث أيام ثم قام وأرتفع إلى السماء .

إذن فالمسيحيون جعلوا من مأساة عيسى وخاتمته الشنيعة أصلا من أصول إعتقاداتهم . ودعامة من دعاماتها . شخص مصلوب تحت اسم يسوع لاشك فى ذلك بشهادة القرآن والأخبار التاريخية المتواترة . فقد جاء فى التلمود أن يسوع الناصرى نودى أمامه أربعين يوماً بأنه سيقتل لأنه ساحر أراد أن يخدع بنى إسرائيل ويضلهم . وأنه إذا كان لأحد حجة للدفاع عنه فليتقدم بها إلى السنهدريم . ولما لم يتقدم أحد صلب المسيح فى عيد الفصح .

وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودى (٧٠م) فى كتابه تاريخ الامة اليهودية. أن بيلاطس حكم على المسيح بالصلب بناء على الحاح رؤساء شعبنا . وقال الحاخام يوحنا بن زكا تلميذ هلل المعلم اليهودى الشهير فى كتابه سيرة يسوع:

أن الملك وحاخامات اليهود حكموا على يسوع بالموت لأنه جدف بقوله عن نفسه أنه ابن الله وقال تاسيتوس المؤرخ اليوناني الشهير (٥٥ م) : أن الناس الذين كان يعذبهم نيرون كانوا يدعون مسيحيين نسبة إلى شخص أسمه المسيح .

كان بيلاطس النبطى قد حكم عليه بالقتل فى عهد طيباريوس قيصر :

قال لوسيان (١٠٠ م) فى كتابه موت بير جرينوت : أن المسيحيين رفضوا الهة اليونان وأخذوا يعبدون رجلا صلب فى فلسطين أسمه المسيح .

وقال كلسوس الفيلسوف الابيقورى (١٤٠ م) فى كتابه البحث الحقيقى : أن أحد أتباع المسيح أنكره وآخر خانه . وفى النهاية حكم عليه بالموت صلباً .

كما أن هناك شهادة المستندات المسيحية وهى مؤلفات لكتاب مسيحيين عاشوا فى القرون الثلاثة الأولى أمثال أقليمس ـ أغناطيوس يوليكربوس ترتوليانوس ـ ايريناوس . تدل على أن هناك شخصاً ما قد صلب ومات على الصليب[١] .

إذن تاريخيا شخص صلب . اليهود يقولون أنه يسوع ابن يوسف النجار والمسيحيون يرون أنه الإله والقرآن يرى أن المصلوب ليس عيسى عليه السلام . وإنما شبيه له . وإذ يقول القرآن الكريم هذا القول فهو إنما يقول الحق الذى لا لبس فيه .

---

(١) عوض سمعان : قضية الصلب بين الدفاع والمعارضه ص ١٤ - ١٨
— العقاد : عبقرية المسيح ص ٨٠ - ٨١

ويتخذ النصارى من العهد القديم شواهد على الصلب المسيح وقيامته .
فقد جاء فى العهد القديم عن يعقوب عليه السلام أن ابنه يوسف جاء بابنيه منسى وافرايم ليبارك عليهما فجعل يوسف ابنه منسى وهو الكبير من ولده على يساره كى يكون عن يمين يعقوب إذا وقف أمامه وجعل افرايم عن يمينه ثم قربهما اليه فخالف يعقوب بذراعيه وجعل يده اليمنى على رأس الأصغر واليسرى على رأس الاكبر ثم بارك على يوسف وعلى ولديه فشق ذلك على يوسف فأخذ بيده اليمنى ودام رفعها من على رأس الصغير إلى رأس الكبير وقال له هذا بكر ولدى فأجعل يمينك على رأسه فكره ذلك الشيخ وقال قد علمت ذلك يا بنى وستكثر ذرية هذا ولكن أخوه الاصغر يكون أكثر ذرية ونسلا منه . (تك ٤٨ : ١٣ : ١٩)

فتناول المسيحيون فى ذلك المخالفة بيديه أعلا ما على صلب المسيح وما يحتاج إلى تأويل ذلك بهذا الهذيان وقد جاء فى التوراة السبب فى مخالفة يعقوب ليديه وذلك لفضل افرايم على منسى ،

أوكما يقول القرطبى : فإن كان لابد من تأويل مشترك لنص التوراة فهلم إلى تأويل أحسن موقعاً فى النفوس من ذلك التأويل وذلك أن مخالفة يعقوب بيديه عند البركة أعلام بأن الله سيخالف بهذه البركة على ولد اسحق إذ اسخطوه بالعصيان ويصيرها فى ولد اسماعيل وذلك ما فعل الله بولد إسماعيل عليهم السلام إذا بعث منهم سيد المرسلين محمد ﷺ [1] .

أما استشهادهم بقول داود « أطعمونى المر وسقونى الخل »[2] .
(مز ٦٩ : ٢١)

---

(١) القرطبى : مقامع هامات الصلبات ومراتع روضات الايمان .
تحقيق الدكتور / محمد شامه ص ٣٤
(٢) عوض سمعان : قضية الصلب ص ٧٤

بأن الله يتكلم على لسانه مخبرا عن الصاوية ويقولون أنه تبارك وتعالى حين ربط على الخشبة استسقى ما عند اليهود فسقوه خلا وهذا كلام باطل لان كلام داوود يؤول على أنه حين اسخطه قومه بعصيان الله واتبعوا الهوى قال فيهم ذلك القول على طريق المثال مثل المثل الشعبي السائد عندنا أطعمني المرأ والسم أو الحنظل . أما شواهدهم عن قيامة المسيح من الاموات فى اليوم الثالث فهى القبر الفارغ .

وتبدأ قصة القيامة فى الاناجيل الاربعة بزيارة بعض النساء للقبر باكرا ولم يجدوا جسد المسيح فى القبر أى القبر كان فارغا . وهذه الشهادة باطلة لان هناك إحتمال أن النساء ذهبن خطأ إلى قبر آخر لان الظلام كان باقيا « وفى أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكرا والظلام باق .

(يو ٢٠ : ١)

« وبعد السبت عند فجر أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الاخرى » (مت ٢٨ : ١)

والإحتمال الآخر أن يسوع لم يمت على الصليب لكنه أغمى عليه ثم لما فاق فى القبر وخرج منه فيما بعد . وهذا ما يقول به اليهود المعاصرين بقول أحدهم ويدعى هيوشنفيلد أن المسيح « هو الذى دبر عملية صلبه كجزء من مؤامرة خاصة ولذلك قبل أن يطرحه الرومان على الصليب تناول مخدرا حتى لا يشعر بآلام الصلب التى كانت ستحل به » وبعد ثلاثة ساعات من صلبه نقله تلاميذه . وهو على قيد الحياة إلى القبر وهناك وضعوا فى أكفانه الكثير من العقاقير والعطور التى ساعدت على التئام جروحه وإنعاش نفسه

---

(١) عوض سمعان : قيامة المسيح ص ١٣٤

وقد انتهزوا فرصة عطلة يوم السبت وهو اليوم التالى لصلبه وسرقوه فى غفلة من الحراس ثم ذهبوا به إلى بلاد بعيدة فعاش فى هذه البلاد حتى مات »[١] .

وهناك إحتمال آخر وهو أن تلاميذ المسيح سرقوا جسده ليلا ثم أشاعوا أنه قام من بين الأموات[٢] .

وبعضهم يرى أن يوسف الرامى سرق جسد المسيح من القبر وأخفاه فى مكان لا تتجه اليه الأنظار لأن هذا القبر كان فى بستان ملكه وخشى على هذا البستان من التلف بسبب كثرة الناس المتوقع زيارتهم لهذا القبر .

ولذلك فالقول بقيامة المسيح من الأموات ليس له نصيب من الصواب. أما قولهم بأن هذه القيامة مدونة فى الأناجيل بالوحى الإلهى[٣] فهذا كلام باطل لأن هـذه الأناجيل غير موحى بها .
أضف إلى ذلك أن الأناجيل صورت هذه الحادثة كل منها بصورة مختلفة جعلت الفوضى والتناقض تسود هـذه الروايات . فقائمة النسوة الآتيات إلى القبر تختلف من أنجيل إلى آخر فمتى ذكر مريم ومريم الأخــرى . ومرقص ذكر مريم المجدلية ومريم الأخرى وسالومة . ولوقا ذكر نساء ولم يحدد أسماء . ويوحنا ذكر مريم المجدلية فقط وبذكر يوحنا أن المسيح ظهر مرتين على ثمانية أيام بالجليل . وأما متى فيتحدث عن مرة واحده لظهور المسيح بالجليل .

(١) عوض سمعان : قيامة المسيح ص ٥٦ - ٥٧
(٢) المرجع السابق : ص ٥١
(٣) عوض سمعان : قيامة المسيح ص ٨

كما أن هناك أختلافاً بين رواية أعمال الرسل وهى من تأليف لوقا عن ظهور المسيح لبولس وبين ما يقوله لنا بولس عن ذلك .

فأعمال الرسل تذكر أنه عند إقتراب بولس من دمشق « أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له شاؤل لماذا تضطهدنى فقال من أنت ياسيد فقال الرب أنا يسوع الذى أنت تضطهده . صعب عليك أن ترفس مناخس . فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل فقال له الرب قم وأدخل المدينة . فيقال لك ماذا ينبغى أن تفعل . وأما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا ينظرون أحد فنهض شاؤل عن الأرض . وكان وهو مفتوح العينين لايبصر أحداً . فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق وكان ثلاثة أيام لا يبصر . فلم يأكل ولم يشرب » . (أع ٩ : ٣ : ٩)

أما بولس نفسه فلم يشر إلى هذه القصة وكل ما قاله كان أشارة شديدة التحفظ إلى هذا الموضوع بقوله : « الست أنا رسولا . الست أنا حرا . أما رأيت يسوع المسيح ربنا » . (١ كو ٩ : ١)

إذن فاختلاف جلى بين بولس وهو الشاهد المعاين وبين لوقا كاتب أعمال الرسل مما أدى إلى أن يشير الأب كانينجسر الأستاذ بالمعهد الكاثوليكى بباريس فى كتابه الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان إلى أن بولس هو الشاهد المعاين الوحيد على قيامة المسيح الذى يصل بصوته الينا مباشرة عبر ما كتب لكنه لايتحدث أبداً عن مقابلته الشخصية مع المسيح بعد قيامته هذا إذا إستثنينا ثلاث أشارات شديدة التحفظ[1] ، والتحقيق العلمى لمقولات

(١) موريس بوكاى : دراسة الكتب المقدسة ص ١٢٢

الأناجيل فى حادثة القيامة يكشف عن كثير من وجوه الخلاف . وكما أختلفت الأناجيل فى إيراد حادثة القيامة أختلفت أيضاً فى إيراد حادثة الصلب .

(١) ففى متى خبر القبض على المسيح فى هذه العبارة : وبينما كان المسيح يحدث أنصاره قدم يهوذا وهو واحد من حوارييه الاثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوفهم وعصيهم . وقد جاءوا من عند كبار الكهنة ورؤساء الشعب. وكان يهوذا قد أعطاهم علامة ترشدهم إلى المسيح وذلك بأن يتقدم اليه فيقبله . ولما تقدم اليه وسلم عليه وقبله فحينئذ عرفوا المسيح فتقدموا اليه وقبضوا عليه .

(مت ٢٦ : ٤٧ : ٥٠)

ولكن يوحنا يقص قصة القبض عليه على وجه آخر إذ يقول فأخذ يهوذا الجند وخداما من كبار الكهنة والفريسيين . وجاءوا إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما سيحدث وقال لهم من تطلبون فأجابوه نطلب يسوع الناصرى فقال لهم أنا يسوع الناصرى وكان يهوذا الذى أسلمه واقفاً معهم . فلما قال لهم أنا يسوع الناصرى رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض . فأعاد عليهم السؤال قائلا من تطلبون فقالوا نطلب يسوع الناصرى . فأجاب يسوع . قد قلت لكم أنا هو .

(يو ١٨ : ١ : ٩)

— أتفقت روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا عن الظلمة التى وقعت فى جميع أنحاء العالم من السادسة إلى التاسعة مساء والمسيح على الخشبة. وماصحب ذلك من الزلزلة وإنشقاق الهيكل . ولم يذكر يوحنا شيئاً عن هذا الحادث العظيم .

— لم يتفق أصحاب الأناجيل الأربعة على موقف المسيح وهو على الخشبة

فبتنا صورة متى ومرقس مفزوعا مكروبا يصرخ بكلمات راعشة « إلهى إلهى لماذا تركتنى » . (مت ٢٧ : ٤٦) (مر ١٥ : ٣٤)

إذ نجد لوقا يصوره راضيا مطمئنا ويقول « يا أبتاه أغفر لهم فانهم لا يعلمون ماذا يفعلون » . (لو ٢٣ : ٣٤)

أما يوحنا فيقول قولا آخر غير هذين القولين : وإنما نطق بكلمة واحدة تكسرت على شفتيه وهو يجود بآخر أنفاسه « فقد أكمل » .

(يو ١٩ : ٣٠)

ويعلق ول ديورانت على حادثة القيامة . والصلب الواردة فى الأناجيل بقوله « لا يسع الإنسان إلا أن يشك فى هذه التفاصيل التى تناقلها الناس مشافهة فى أغلب الظن ثم دونها بعد وقوعها بزمن طويل[1] » .

أما صعود عيسى إلى السماء ليجلس عن يمين أبيه فهو شىء لا يصدقه العقل ألا يعلم هؤلاء أن الله الواحد فى كل مكان وسواء كان عيسى فى الأرض أو السماء فهو مع الله .

وإذا صعد إلى السماء كما يعتقدون سيصبح هناك إلهين فأى الربين خلق صاحبه فالمخلوق منهم ليس بإله وإذا أراد أحدهما أمرا فلمن الحكم منهما . فإن كان أحدهما مضطرا لمشاورة الآخر ومساعدته كان المضطر عاجزاً مقهورا ولم يكن إلها قادرا ، وإن كان قادرا على مخالفته فهو إله قوى ويكون الآخر ضعيفاً عاجزاً مقدوراً عليه أما يعى هؤلاء أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا .

---

(١) قصة الحضارة ج ٣ م ٣ ص ٢٣٦

يقول ابن تيمية : المسيحيون يقولون أن المسيح صعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه وعندهم أن اللاهوت منذ اتحد بالناسوت لم يفارقه . بل لما صعد إلى السماء وجلس على يمين الآب كان الصاعد عندهم هو المسيح الذى هو ناسوت ولاهوت إله تام وإنسان تام . فهم لا يقولون أن الجالس عن يمين الآب هو الناسوت فقط بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت .

فأى تبعيض وتجزئة أبلغ من هذا وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال أن له معنى لا يفهم .

بل هو من كلام أكابرهم الذى وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم فإن كانوا تكلموا بما لا يعقلون فهم جهال لا يجوز أن يتبعوا، وأن كانوا لا يعقلون ما قالوه فلا يعقل أحد من كون اللاهوت المتحد بالناسوت . جلس عن يمين اللاهوت المجرد من الإتحاد . إلا أن هذا اللاهوت المجرد منفصل مباين اللاهوت المتحد وليس هو متصلا به . بل غايته أن يكون مما سأله . بل يجب أن يكون الذى يماس اللاهوت المجرد هو الناسوت مع اللاهوت المتحد به فه فهذه حقيقة التبعيض والتجزئة مع أنفصال أحد البعضين عن الآخر(١).

والقرآن الكريم يصور لنا نهاية المسيح فى عقيدة اليهود بقوله تعالى : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم أنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » . (النساء ١٥٦ : ١٥٧)

وهذا يدل على كفر عظيم لأنهم قالوا فعلنا ذلك وهذا يدل على أنهم

(١) ابن تيميه : الجواب الصحيح جـ٢ ص١٥٦

كانوا راغبين فى قتله مجتهدين فى ذلك[1] ، وذلك بسبب فضحه لريائهم وخبثهم وعندما أحرج الكتبة والفريسيين بتعاليمه . كما أن اليهود كانوا ينتظروا مسيحاً يحقق لهم تلك الرؤى والأحلام التى حدثهم عنها أنبياؤهم وأن الخلاص على يديه

ولما جاء المسيح ولم يأتى بالخلاص بين يديه أنكروا أن يكون يسوع هو المسيح المنتظر . فاليهود والمسيحيون متفقون تماما على أن عملية الصلب تمت مع أختلاف فى أسباب الموت . كما ذكرنا سابقاً .

ولكن خاتمة أمر المسيح كما يراها المسلمون تقول أن المسيح عندما أحرج الكتبة والفريسيين بتعاليمه وتجريحه أياهم شكوا أمره إلى بيلاطس وزينوا شكواهم بما يستدعى إهتمام الوالى وذلك بأن أدعوا عليه أنه يقول أنه ملك اليهود وأنهم لا يقرون ملك أحد سوى قيصر دوما فأرسل الوالى جنداً للقبض على المسيح بن مريم فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه أنقذه الله من أيديهم وألقى شبهة على شخص آخر وهو الذى أخذ وصلب ومات فعملية صلب عيسى ما هى إلا ضلالة إبتدعوها وهم لفى شك فيه . وما لهم به علم إلا اتباع الظن وسندنا فى ذلك :

ا) ما ورد فى كتبهم المقدسة .

ب) ما رواه القرآن الكريم .

---

(١) تفسير الرازى ج ١١ ص ٩٩

أولا — ماورد فى كتبهم المقدسة

يقول الله على لسان عاموس : « من أجل ذنوب إسرائيل الثلاثة والأربعة لا أرجع عنه لأنهم باعوا البار بالفضة » (عاموس ٦:٢)

ويمكن تأويل هذا القول على وجهين :

إما أن يكون المقصود بالمباع عيسى عليه السلام لذلك وجب على المسيحيين أن يقولوا على عيسى أنه الرجل البار وليس إلهاً معبوداً

وإما أن يراد بالمباع شخص غير عيسى وهو الذى شبه لليهود أنه عيسى فصلبوه . وبذلك لا يكون عيسى قد صلب وهو الاحتمال الأرجح لأن المسيحيون يعتقدون أن عيسى إلها وليس برجل صالح أو رجل بار .

٢ — ورد فى الأناجيل أن الذى صلب استسق اليهود فأعطوه خلا فذاقه ولم يشربه . ونادى إلهى إلهى لماذا تركتنى .

والأناجيل كلها تصرح بأنه عليه السلام كان يصوم أربعين يوماً بلياليهم بالجوع والعطش . ومن يصوم هذه المدة ولا يعطش كيف يظهر الحاجة والذلة والمهانة لأعدائه بسبب العطش لمدة يوم واحد . هذا لا يفعله أدنى الناس فكيف بالإله .

٣ — كما أن قوله إلهى إلهى لماذا تركتنى دليل على عدم الرضى بالقضاء وعدم التسليم لأمر الله تعالى .

٤ كما أن متى ومرقس صورا المسيح مفزوعا على الصليب ونحن نعلم أن إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى وهارون عليهم السلام لما حضرهم الموت كانوا مستبشرين بلقاء ربهم . فكان ينبغى على عيسى عليه السلام أن يكون أثبت منهم لأنه إله . أو أن يكون المصلوب ليس عيسى الإله .

- جاء فى الإنجيل شهادة بطرس الرسول بأن الشخص الذى يحاكم أمام رؤساء الكهنة ليس المسيح « فأنكره قائلا لست أعرفه يا امرأة » .
(لو ٢٢ : ٥٧)

وبطرس الرسول بوصفه أعظم تلاميذ المسيح لابد أنه كان صادقا فيما قال فالمصلوب أو المقبوض عليه ليس المسيح فعلا .

- جاء فى إنجيل يوحنا عند ذكر حادثة القبض على المسيح « فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون أجابوه يسوع الناصرى » . (يو ١٨ - ٣ : ٥)

فمن هذه الرواية نذهب إلى احتمالين لا ثالث لهما :

أولهما : أن اليهود والجنود كانت لا تعرف عيسى عندما ذهبت للقبض عليه . وهذا رأى بعيد الاحتمال لأن يهوذا الاسخريوطى أحد الحواريين ويعرف المسيح تمام المعرفة كان مع الجند وكانت المنطقة مضاءة بما يحمله الجنود من مشاعل كما أن الإنجيل ناطق بأن عيسى عليه السلام نشأ بين اليهود يعظهم ويعلمهم ويناظرهم وكانوا يقولون عنه أليس هذا ابن يوسف النجار أليس هذا ابن مريم فمن أين له هذه الحكمة .

وإذا كان هو كذلك فى غاية الشهرة فلا شك أن التباس الجند واليهود وعدم معرفتهم له لا يمكن أن يقع .

ثانيهما : أن القائل لليهود والحراس من تطلبون هو من ألقى الله عليه الشبه والذى أظهر نفسه للجنود ولا يعلم أنه سوف يقبض عليه .

فلما رآه الجند ومعهم يهوذا إعتقدوا أنه المسيح فقبضوا عليه . وأتباع

عيسى أيضاً ذهبوا إلى الاحتمال نفسه . ومما يؤكد رأينا هذا قول عيسى لتلاميذه الوارد فى الأناجيل كلكم تشكون فى هذه الليلة فإنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتفرق الغنم .

فقال بطرس فلو شك جميعهم لن أشك أنا فقال يسوع الحق أقول لك فى هذه الليلة تنكرنى قبل أن يصيح الديك .

(مر ١٤ — ٣٧ : ٣٠)(مت ٢٦ : ٣١ : ٣٤)

وفعلا فقد أنكره بطرس أو بمعنى أصح كان بطرس يشك فى أن المقبوض عليه عيسى عليه السلام ولذلك أنكره عندما سألته المرأة عنه عند المحاكمة . (لو ٢٢ : ٥٧)

وإذا كانت قيامة المسيح من الأموات فى اليوم الثالث تقترن بحادث الصلب وإذا كان المصلوب غير عيسى يقيناً إتضح لنا أن قيامة المسيح لا أساس لها من الصحة بدليل أن من رآه بعد قيامته المزعومة متشكك فى كونه هو المسيح أو غيره

فقد جاء فى إنجيل يوحنا أن مريم المجدلية لم تعرفه « نظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع . قال لهم يسوع يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين فظنت تلك أنه البستانى فقالت له يا سيدى إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته » . (يو ٢٠-١٤: ١٥)

فكيف نأخذ بشهادة شخص غير متأكد من شخصية من رآه حتى التلاميذ لم يتعرفوا عليه بعد قيامته « ولما كان الصبح وقف يسوع على الشاطىء ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع » .

(يو ٢١ : ٤)

ومن ثم لا يكون هناك دليل على صحة شهادة مريم والتلاميذ لأنهم هم لم يتعرفوا على المسيح إلا بعد أن أخبرهم هو بذلك . وهذا ما دعى الفلاسفة المحدثون أمثال ستروس - كرسوب - فنتوربنى - هولترمان ليك - رينان ولوازيه الذين اشتغلوا بنقد الكتاب المحرف إلى مقاومة القول بقيامة المسيح بكل قواهم .

فبعضهم يرى أن تلاميذ المسيح رأوا بعد موته شخصاً يشبه المسيح فاعتقدوا أنه المسيح ومنهم من يرى أن المسيح ظهر لهم بروحه فى رؤيا فانخدعوا واعتقدوا أنه قام من بين الأموات . أو أن ظهور المسيح لتلاميذه بعد موته تم بعملية إستحضار الأرواح أو أن إعتقاد تلاميذ المسيح بالرجعة التى كان يؤمن بها فريق من اليهود من قبل جعلهم يقولون مثل هذا القول[1].

إذن فالمسيحيون هم الذين أشاعوا بين الناس أن يسوع الناصرى بعد أن عادت إليه الروح فخرج من قبره بعد ثلاثة أيام من دفنه ومكث على الأرض أربعين يوما صعد بعدها إلى السماء . وليس لهم من سند على صحة ذلك إلا ما جاء فى كتابهم المحرف من شهادة يهوذا على الصلب وشهادة النسوة على القيامة .

يقول القرطبى « فأما اليهود فإنها قتلت رجلا لا بعينة باقرار كتابكم ولا نعرفه إلا بشهادة يهوذا الاسخريوطى أنه ذلك وأما أنتم (أى المسيحيين) فلا كتاب عندكم صادق بتحقيق ذلك ولا خبر قاطع للحجة . وإنما قيل لكم بعد زمان ثلثمائة ثلاثين من السنين أنه قد كان فى سالف الدهر رجل من أمره كذا وكذا وبأضغاث الأحلام من مرأة إسمها مريم المجدلية إدعت أنها رأت فى منامها هذيانات فقبلتم أقوالها وشرعتم بها من غير سند ولا تواتر متصل .

---

(١) القرطبى مقامع هامات الصلبان ص ٢٩ .

ثانيا — القرآن الكريم والسنة وآراء علماء المسلمين في عملية الصلب

إن خاتمة أمر المسيح بحسب قصص القرآن فهى عجيبة و بسيطة لا تعقيد فيها فالمسيح عندما أحرج الصدوقيين الذين يقولون بعدم وجـــود قيامة ولا نشر ولا حساب ولا عقاب ودعاهم إلى عقيدة اليوم الآخر وحذر الناس من إتباعهم

وكذلك عندما أحرج الفريسيين وكشف للناس أن زهدهم فى الدنيا فخا نصبوه لصيد أموال الناس لأنهم فى حقيقتهم أقبلوا على الشهوات والتهم الحياة الدنيا وزخرفها .

وعندما أحرج الكهنة وسدنة الهيكل وكشف حقيقتهم للناس وبأنهم يحرفون كلام الله ويتهالكون على الحطام الفانى وعندما نادى باقتراب ملكوت السموات والأرض والمراد بذلك الشريعة الآلهية التى يرسل الله تعالى بها النبى الأمى محمد ﷺ .

كل ذلك أخرجهم إلى الكيد له والتدبير لقتله فلما أتوا ولم يبق إلا القبض عليه أنقذه الله من أيديهم وطهره منهم وألقى شبهه على شخص آخر فأخذ وصلب وقتل ونجا المسيح من شرهم .

والحق الذى لا يرتاب فيه عاقل يعرف الخطأ والصواب ويميز بين الفاسد والصحيح أن حادثة صلب المسيح لا يصح أخذها من الأناجيل وليس لها مصدر صحيح سوى كتاب الله الذى يقول (وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبه لهم) . « النساء ١٥٧ »

والقرآن الكريم يفضح أكاذيب النصارى واليهود لقولهم إنا قتلنا المسيح (وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) . « النساء ١٥٧ - ١٥٨ »

وليس موضع خلاف على الإطلاق عند المسلمين أن عيسى نجا من الصلب فالآية الكريمة وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه له واضحة الدلالة على ذلك .

يقول الدكتور عبد الجليل شلبي : وعند نزول القرآن الكريم لم يكن لدى محمد ﷺ أى مستند مادى يؤكد نفى صلب المسيح الا أنه أوحى له . ولكن الحفريات التى كانت تجرى فى وادى القمران كشفت عن بعض اللفائف بها ما ينفى صلب المسيح ويؤكد أن الذى صلب شخص آخر[١] .

ولكن ماذا كانت نهاية عيسى عليه السلام بعد النجاة من الصلب هل استوفى أجله على الأرض وهو مختفى ثم مات حيث شاء الله ودفن جسمه وبعثت روحه إلى بارئها ؟ هل رفع إلى السماء حيا بجسمه وروحه ؟

ففريق من العلماء منهم السيوطى[٢] - أبو السعود[٣] - القرطبى[٤]

---

(١) الاسلام والمستشرقون ص ٤٤ .
(٢) تفسير الجلالين ص ٦ .
(٣) تفسير أبو السعود ص ٤٩١ .
(٤) تفسير القرطبى ج٢ ص ١٣٤١ .

ابن تيميه[١] ـ الزمخشرى[٢] ـ ابن قيم الجوزية[٣] يرى أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه وحجتهم فى ذلك قوله تعالى (يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلى مطهرك من الذين كفروا) (آل عمران ٥٥)

وما ورد من الأخبار المأثورة من أخبار ناطقة بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده وروحه وبأنه حى فيها وأنه ينزل فى آخر الزمان ويقتل المسيح الدجال[٤] .

وفريق آخر من العلماء[٥] يرى أن الرفع فى الآية معناه رفع المكانة والدرجة أو المرتبة .

فقد جاء الرفع فى القرآن الكريم بهذا المعنى قال تعالى :

(فى بيوت أذن الله أن ترفع) « النور ٣٦ »

(نرفع درجات من نشاء) « الأنعام ٨٣ »

(ورفعنا لك ذكرك) « الإنشراح ٤ »

وإذن فالتعبير بقوله « ورافعك إلى » لايفهم منه إلا رفع المكانة والقدر والمرتبة ، وأما صعود عيسى إلى السماء فلا يوجد فيه نص قاطع

---

(١) الجواب الصحيح حـ٢ ص ٢٨٥ .
(٢) الكشاف حـ١ ص ٤٥٤ .
(٣) هدايه الحيارى ص ٢ ٣ .
(٤) تفسير ابن كثير حـ٢ ص ٥٧٨ — ٥٧٩ .
(٥) تفسير الرازى حـ٨ ص ٧٤ .
ـ الامام شلتوت : الفتاوى ص ٦٠ .
ـ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٢٩ .

الثبوت والدلالة ولا حجة للجمهور في القول بأنه رفع إلى السماء لأنه لا يوجد ذكر للسماء بإزاء قوله « ورافعك إلى » وكل ماتدل عليه هذه العبارة أن الله مبعده عنهم إلى مكان لا سلطة لهم فيه وإنما السلطان ظاهراً وباطناً فيه لله تعالى فقوله إلى لا يدل على السماء نصا بل هو كقول الله فى لوط (وقال إنى مهاجر إلى ربى) إذ ليس معناه أنى مهاجر إلى السماء[1] .

أما عن الأحاديث فهى من الأحاديث الآحاد التى لاتوجب الاعتقاد كما يرى الباحثون[2] والمسألة هنا إعتقادية . كما أن الأحاديث ليس فيها كلمة عن رفع عيسى بجسمه .

وقد فهم الرفع من نزول عيسى فاعتقد هؤلاء العلماء أن نزول عيسى معناه أنه رفع وسينزل مع أن اللغة العربية لا تجعل الرفع ضرورة للنزول فإن قلت نزلت ضيفاً على فلان فليس معنى ذلك أنك كنت مرتفعاً ونزلت وإذا رجعنا إلى مدلول هذه الكلمة نزل وأنزل فى القرآن الكريم وجدنا أنه لايتحتم أن يكون معناها النزول من إرتفاع بل قد يكون معناها جعل أو قدر أو وقع :

(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) . « الحديد : ٢٥ »
أى جعلنا فى الحديد قوة .

(وقل ربى أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين) « المؤمنين : ٢٩)
أى قدر لى مكانا طيباً .

---

(١) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص ص ٤٢٩ .
(٢) د أحمد شلبى : المسيحيه ص ٤١ .

(فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) « الصافات : ١٧٧ »
أى وقع .

إذن فهذا الفريق من العلماء يرى أن عيسى بعد نجاته من اليهود عاش زمناً متخفياً ثم استوفى أجله ومات ميتة عادية ورفعت روحه إلى السماء مع الأبرار والطاهرين .

وهذا الرأى هو ما أميل إليه وذلك لقوله تعالى على لسان عيسى : (ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد) . « المائدة : ١١٧ »

فالآية واضحة الدلالة على وفاة عيسى وفاة عادية ورفعت روحه إلى موضع لا يجرى فيه حكم غير حكم الله تعالى .

فالقول برفع الجسد والروح إعتقاداً متأثراً بالتفكير المسيحى الذى يرى أن عيسى هو الإبن نزل من السماء ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله .

والمسيحيون إتفقوا أن عيسى صلب ولكن إختلفوا هل الصلب وقع على اللاهوت أم الناسوت أو على كليهما .

فالنسطورية زعموا أن الصلب وقع على الناسوت[1] .

والملكانية زعموا أن القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس

---

(١) ابن حزم :الفصل فى الملل والأهواء والنحل ح ١ ص ٤١ .
ـ تفسير الرازى ح ١١ ص ١٠١ .

والشعور لا بالمباشرة(٢) .

والملكانية عند قولهم مات المسيح وصلب كاذبون لأن المسيح يطلق عند جميع المسيحيين ويراد به الخالق والمخلوق بعد اتحادهما معاً أى اللاهوت والناسوت معاً ولذلك وجب عليهم أن يقولوا مات نصفه وصلب نصفه .

أما اليعقوبية فيزعمون أن الصلب والموت وقعا على المسيح الذى هو جوهر متولد عن جوهرين(١)

فالمسيح عندهم هو الله تعالى وأنه مات وصلب وأن العالم بقى ثلاثة أيام بلا مدبر والفلك بلا مدبر ثم قام ورجع كما كان .

والحقيقة أن كل مايختص بمسائل الصلب والفداء كما يقول أرنست دى بول الألمانى(٣) من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح وليس من أصول النصرانية وتصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود وغيرهم .

فالهنود يعتقدون أن كرشنا المولود البكر هو نفس الإله فشنوا الذى لا ابتداء له ولا انتهاء .

تحرك حنوا كى يخلص الأرض من ثقل حملها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه وكرشنا يصور مصلوبا مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقا .

---

(١) تفسير الرازى ج ١١ ص ١٠١ .
(٢) تفسير الرازى ج ١١ ص ١٠١ .
(٣) الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ص ٤٤٩ .

والبوذيين يطلقون على بوذا المولود الوحيد ومخلص العالم وأنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها ويجعلهم وارثين لملكوت السموات .

إذن ففكرة الصلب فكرة فلسفية تجعل عمل المسيح تكفيرا لخطيئة آدم مطهراً البشرية من وزرها .

وهنا يأتى القرآن الكريم ليقرر أن الله غفر لآدم هذه الخطيئة بعد أن تاب (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه · إنه هو التواب الرحيم) .
« البقرة : ٣٧ » .

وهذا ما جعل إبراهيم خليل الذى كان قسيساً بكنيسة باقور الإنجيلية بأسيوط وأستاذ اللغات بكلية اللاهوت يقول :
« يكفى الإسلام فخراً أن مغفرة الله للانسان لاتتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت أو قلت وإنما تتوقف برحمته ومغفرته على توبة الإنسان توبة صادقة[1] .

ولذلك نجد الكثير من علماء النصارى ومحققيهم ينفون نفياً قاطعاً وقوع الصلب على عيسى عليه السلام أمثال إدوارد سبوس فى كتابه عقيدة المسلمين وأرنست دى بوانس فى كتابه النصرانية الحقة وملمن فى كتابه تاريخ الديانة النصرانية[2] .

عجى المسيح بين النصارى وإلى أى والد نسبوه[3]

---

(١) محمد السليمان : من حقائق التبشير ص ٥٨ ، ٦٣ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الفاصل بين الحق والباطل : المؤلف مجهول الإسم .

أسلموه إلى اليهود وقالوا أنهم بعـــد أن قتلوه صلبوه
وإذ كان ما يقولون حقا وصحيحـــا فأين كان أبوه
حين خلى إبنه رهين الأعادى أتراهم أرضوه أم أغضبوه
فلان كان راضيا بآذاهم فاحمدوهم لأنهم عـــذبوه
ولأن كان ساخطا فاتركوه وأعبـــدوهم لأنهم غلبوه

الخـــاتمة

يعتقد المسيحيون أن المسيح لم يكتب إنجيلا بيديه ولم يمل إنجيلا على أحد تلاميذه بنفسه إذ أن المسيح هو بذاته الإنجيل، لأن الإنجيل هو البشارة والمسيح هو هذه البشارة إذ أنه هو الذى كفر عن خطايا البشر حتى تكون لهم الحياة الأبدية. بل أنه هو كلمة الله الحية المتجسدة أكثر وقعاً على النفس من الكلمة المكتوبة على الورق[1].

وزعم وجود كتاب أنزل على عيسى هو وهم خطأ[2].

فالمسيحيون يرون أن عيسى كان إلها ظهر مستترا وراء جسد فكل أفعاله وأقواله وحى. وإنطلاقا من هذا الزعم الخاطىء لا ترى المسيحية إنجيلا أو كتابا أوحى إلى عيسى.

ولكن القرآن الكريم يحدثنا عن كتاب سماوى أنزل على عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه وهو التوراة ومؤيداً لأحكامه ومحيياً لشريعتها ومبشراً برسول يأتى من بعده إسمه أحمد.

(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظه للمتقين). (المائدة: ٤٦)

وهذا الإنجيل الذى ذكره القرآن الكريم لا وجود له الآن وليس له أى صلة بتلك الأناجيل الأربعة متى ومرقص ولوقا ويوحنا المتداولة حاليا

---

(١) عوض سمعان: قضية صلب المسيح ص١٨٢.
ـ القس صموئيل مشرقى: مصادر الكتاب المقدس ص ١٩.
(٢) القس جردنر: محاورة فى الوحى ص ٦٤.

والدارس المدقق لهذه الأناجيل يجدها تذكر أن عيسى كان معه إنجيل يبشر به .

فقد جاء فى مرقص « جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .
(مر ١ : ١٤)

ثم يقول : « إذهبوا إلى العالم اجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » :
(مر ١٦ : ١٥)

وجاء فى متى قول المسيح « الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الإنجيل فى هذا العالم » . (مت ١٦ : ١٣)

حتى بولس تكلم عن إنجيل يسوع هذا فيقول « فإن الله الذى أعبده بروحى فى إنجيل إبنه شاهد لى » . (رو ١ : ٩)

ويقول « فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيل يسوع المسيح » . (رو ٢ : ١٦)

[illegible] إنجيل هذا الذى بدأ المسيح عليه دعوته بطلب الإيمان به ؟

[illegible] انجيل هذا الذى يتكلم عنه بولس ويبشر به فيقول « أعرفكم أيها [illegible] الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند [illegible] ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح » . «غل ١ : ١١:١٢»

يفهم من ذلك أنه عليه السلام كان معه إنجيل يعرفه الجميع وهو [illegible] اليه . ولا شك أن هذا الإنجيل المذكور ليس واحداً من الأناجيل [illegible] حاليا التى لم تكن بالقطع موجودة ولا معروفة حين نطق المسيح بهذا الكلام .

وليس من المعقول أن يعظ المسيح بأقوال تلاميذه . وهم بعد لا يزالون في دور التعليم .

نعم كان هناك إنجيل نزل على عيسى وهو الذى أشار إليه بولس صراحة بانجيل المسيح . أو انجيل يسوع المسيح أو إنجيل أبيه وهذا الإنجيل ضاع واندثر لأن هناك نص خطير جاء فى أحد رسائل بولس يشير بوضوح أنه كان هناك إنجيل وأن هذا الإنجيل كان مهدداً بالخطر وكان فى حاجة إلى حماية . وأن بولس وضع لحمايته .

يقول بولس «إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح» .   (غل ١ : ٦ : ٧)

ويستفاد أيضا من نفس الرسالة أنه كان هناك قوم يصرفون الناس عن إنجيل المسيح .

وهذا ما دعى المستشرق الفرنسى آتيين رينيه إلى القول «أنه لاشك أن الله قد أوحى الإنجيل إلى عيسى بلغته ولغة قومه .

ولاشك أيضاً أن هذا الإنجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر وأنه باد أو أنه قد أبيد .

ولهذا قد جعلوا مكانه توليفات أربع مشكوك فى صحتها وفى لغتها التاريخية ، كما أنها مكتوبة باللغة اليونانية . وهى لغة لاتتفق بطبيعتها مع لغة عيسى الأصلية التى هى لغة سامية . لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود[1] .

---

(١) زكريا هاشم : المستشرقون والاسلام ص ١٩٩ .

ولقد وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار الذين لم يقيدهم في بحثهم إلا العلم والحقائق التاريخية من يصرح بأنه كانت في القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل المتداولة حالياً .

يقول نارتن وقال اكهارن في كتابه أنه كان في إبتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هي الأنجيل الأصلي والغالب أن هذا الانجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا كلام المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب[1]، وهذا الرأي هو ما يؤكده أ . كولمان عند شرحه لنظرية مصدري هولتزمان (١٨٦٣م) [2] لأنه حسب هذه النظرية فإن متى ولوقا قد استلهما مرقص من ناحيته ، ووثيقة مشتركة مفقودة اليوم من ناحية أخرى مضافا إلى هذا كل من متى ولوقا كان يملك تحت حوذته مصدرا خاصاً به .

فأين هذه الوثيقة المشتركة التي أستلهم منهم كتبة الانجيل ؟ وهناك نظرية حديثة ظهرت إلى الوجود للأبين بنيوا وبومارا [3] الأستاذين بمعهد الكتاب المقدس (١٩٧٢ — ١٩٧٣م) وهذه النظرية قد أوضحت وجود ... أكثر تعقيدا أدت إلى تطور النصوص على مراحل متعددة بالتوازي ... التراث بحيث أصبحت هذه النصوص لا تتمتع بنفس صحة الأقوال ... ت الموجودة أصلا ، وتتلخص هذه النظرية بأن هناك أربع ... اسية .

الوثيقة الأولى :

... من أوساط يهودية مسيحية ، وقد ألهمت متى ومرقص .

---

(1) الامام محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ٦٦
(2) موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة ص ٩٥
(3) المرجع السابق ص ٩٥ - ٩٨

(ب) الوثيقة الثانية :

وهى إعاده تفسير الوثيقة الأولى إستخدمتها الكنائس الوثنية المسيحية وقد ألهمت كل المبشرين ماعدا متى .

(جـ) الوثيقة الثالثة :

ألهمت كل من مرقص ولوقا ويوحنا .

(د) الوثيقة الرابعة :

تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا . ولم تؤدى أى وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التى فى حوزتنا فبينها وبين التحرير النهائى توجد تأليف وسيطة خاصة بكل أنجيل ، وتلك الوثائق الأربعة الوسيطة هى التى أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل الأربعة وفى نفس الوقت ألهمت الصيغ النهائية المناظرة والمطابقة لصنع أناجيل أخرى .

وخلاصة هذه الآراء . أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظره الشخصية مع الاعتماد على التراث الشفهى للطوائف الأصلية من ناحية وعلى مصدر مكتوب آرامى مشترك بين جميع المبشرين لم يعثر عليه . وأنى اعتقد أن هذا المصدر المفقود أن لم يكن أنجيل عيسى فهو على الأقل وثيقة أحتفظ فيها صاحبها بجميع أفعال وأقوال السيد المسيح التى كان يبشر بها وبذلك نستطيع أن نقرر أن المسيح عليه السلام قد جاء بانجيل تلقاه وحيا من ربه ، وألقاه على أسماع تلاميذه وحوارييه ، وبشر به كل من اتصل به من اليهود .

وهذا الأنجيل إما ضاع واندثر بسبب تلك الضربة القاسية التى وجهها

اليهود إلى تلاميذ المسيح من بعده أو أنه تم أخفاؤه عمداً من الذين أرادوا تشويه رسالة المسيح وعلى رأسهم بولس ، وأن بقى الكثير من تعاليم الأنجيل محفوظة فى صدور التلاميذ . فلما سكنت ثورة اليهود على التلاميذ رجع التلاميذ إلى ما فى صدورهم وأذاعوه على الناس معتمدين على التراث الشفوى .

وتلك الوثيقة المفقودة التى أرجح أنها وثيقة أحتفظ فيها صاحبها بجميع أفعال وأقوال عيسى التى كا يبشر بها طبقاً للأنجيل الموحى إليه من السماء والتى حرصت الكنيسة على أخفائها .

ولذلك مازالت هذه الاناجيل لوقا ومتى ومرقص ويوحنا تحمل البشارة بنبى الاسلام محمد ﷺ .

وهذا الانجيل النازل على عيسى عليه السلام لا تضمن أحكاماً ولا يستنبط حلالا ولا حراماً ولكنه رموز وأمثال ومواعظ وزواجر . وما سواها من الشرائع والأحكام فحالة إلى التوراة .

والخلاصة التى نصل إليها أن تجسد الإله عقيدة فاسدة وقبيحة عند العقول السليمة . إذ لا يستطيع عاقل أن يذعن إذعانا صحيحاً ويؤمن إيماناً بأن الإله المجرد عن المادة صار جسداً ثم اسلم نفسه صاغرا إلى من صلبوه ، وأى عاقل يرضى أن يعبد إلها هذا شأنه .

لكن من دأب الحذلقة على الدوام أن تجتهد لكى لا تفهم وليس منها من تجتهد لكى تفهم وعندها فى كل آونة سبب لتعطيل كل فهم وسبب لكل عمل وسبب للظهور يصرفها عن بواطن الأمور ، ولقد اهتدى بعض المسيحيين إلى الحل الصحيح وهو القول بالتوحيد الخالص .

فقد كان لهذا الرأى اتباع على مدى العصور وفى مختلف البلاد ومن

هؤلاء برنابا — أريوس — مقدونيوس — الشمشاطى ، ولكن صيحة هؤلاء لم تتغلب على ضجيج الكنيسة ولم تصل قلوب العامة والجماهير .

لقد وضع المسيح فى موعظة الجبل الأساسى الذى يبنى عليه المؤمنون عقيدتهم فقال فى بساطة ووضوح « لاتظنوا إنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل فانى ألحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد من الناموس حتى يكون الكل » .
(مت ١٧ : ١٧)

إذن ما جاء عيسى لينقض الكتب المقدسة ومنها التوراة الناطق معظم أسفارها بأن الله واحد أزلى أبدى لايموت قادر على ما يشاء . ليس كمثله شيء لا فى الذات ولا فى الصفات لقد جاء المسيح بالعقيدة الحقة التى لامراء فى صدقها : هى إيمان بالله الواحد ثم عمل الصالح ومن قال غــــير ذلك « فإنما حسابه عند ربه أنه لايفلح الكافرون » . (المؤمنون : ١١٧)

والمسلمون يقدرون المسيح حق قدره وأن الله بعثه رسولا هاديا لبنى إسرائيل ، وأنه لم يكن إلها أو ابن إله فهو كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه ، وهذه العقيدة وأن كانت تبدو عسرة الفهم عند المسيحين ولكنها بالتأمل الرزين والبحث المنصف . بعيداً عن التشنج والعصبية والتحيز سينكشف الحق . وتنجلى لهم الحقيقة بأن الله واحد لاشريك له ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وبساطة الإيمان أصلح من حذلقة العلماء والحفاظ من أبناء الكنيسة ، ولولا هذه الحذلقة لما استعصى على أحد منهم أن يفهم أن عيسى رسولا وليس إلها ظاهر مستترا وراء جسد وأن هذا الجسد قد صلب ليخلص البشر من خطيئة آدم ولفهموا أن لايصح أن ينتحر. فواجب الوجود لايصح أن يكون محلا للأعراض البشرية من اللذة والألم .

ولكن سلطان العقيدة جعلهم يستملون لكل ما تزينه لهم مهما كان فساده واضحا لدرجة أن أحدهم يقول وهو ترتليان « لقد مات ابن الله ذلك شيء معقول لا لشيء إلا لأنه مما لا يتقبله العقل وقد دفن المسيح وقام من بين الموتى وذلك أمر محقق لأنه مستحيل [١]» .

ولقد إعتمد النصارى فى إثبات تجسد المسيح وصلبه وقيامته على أقوال الأنبياء الواردة فى التوراة وعلى رؤاهم والدارس للتوراة يجب أن يكون حذراً فى الإعتماد على سلامة النصوص المأخوذة منها لأية قضية من القضايا فهى نصوص ليست فوق مستوى الشبهات وأن جانباً كبيراً منها لا يسلم به على أطلاقه . فإعتماد المسيحيين على هذه النصوص إعتمادا على نصوص لا يطمئن على صحتها وسلامة النص والإطمئنان اليه شرط أول قبل الشرح والتأويل لقبول معطياته أو رفضها والتوراة نفسها تشهد بأن هناك أنبياء كثيرون لا يوحى اليهم وإنما هم كذبة متنبئون تجرى على ألسنتهم أقوال صادقة أو كاذبة .

إذن فكان الواجب على المسيحيين أن يأخذوا حذرهم عند الاستشهاد بنصوص العهد القديم على قضية التجسد والصلب بدلا من الاعتماد عليها وتأويل نصوصها فى إثبات البشارات بالوهية عيسى وتجسده وصلبه .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ١ ص ٣٠٨

المراجع

١ — القرآن الكريم .
٢ — صحيح البخــارى .
٣ — صحيح مســلم .
٤ — صحيح الترمذى .
٥ — العهد القديم .
٦ — العهد الجديد .

احمــد شلبى (الدكتور) :

٧ — اليهودية — النهضة المصرية — القاهرة ١٩٧٣ م
٨ — الاســلام — النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٧٣ م .
٩ — المسيحية — النهضة المصرية — القاهرة — ١٩٧٣ م .

ابراهيم جبــرة (القمص) :

١٠ — كلمة الله — مكتبة المحبة .
١١ — ابن الله — مكتبة المحبة .

الطبرى (الامام ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى) :

١٢ — تفســير الطبرى — دار المعارف — القاهرة .

اثناسيوس الرسولى :

١٣ — تجسد الكلمةالله دار التاليف والتاليف والنشر ـط ٥ القاهرة ١٩٧٣م .

الشهرستانى (ابى الفتح محمد بن عبد الكريم بن بكر أحمد) :

١٤ — الملل والنحل — البابى الحلبى — القاهرة ١٩٦٨ م .

السيد محمد رشيد رضا :

١٥ — تفسير المنار — ط ٢ — القاهرة ١٩٤٧ م .

القرطبى (الجاحظ عبد الله محمد بن احمد الانصارى) :

١٦ — تفسير القرطبى — طبعة دار الشعب وطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٨ م .

ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبى الفدا اسماعيل) :

١٧ — تفسير ابن كثير .

ابن تيمية :

١٨ — الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح — مطبعة المدنى — ١٩٦٢ م .

ابن حزم (الجاحظ محمد على بن احمد) :

١٩ — الفصل فى الملل والاهواء والنحل — مكتبة الخانجى — القاهرة ١٣٢١ هـ .

الرازى (محمد ابن ابى بكر عبد القادر الرازى) :

٢٠ — تفسير الرازى — ط ١ القاهرة ١٩٣٧ م .

ابى على بن سيفا :

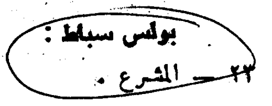
٢١ — الاشارات والتنبيهات (تحقيق) — دار المعارف — القاهرة ١٩٥٨ م .

ت . ج . دى بور :

٢٠ — تاريخ الفلسفة فى الاسلام — لجنة التاليف والترجمة ولنشر — ط ٤ القاهرة ١٩٥٧ م .

بولس فرج بولس :

٢٢ — الله واحد فى ثالوث — تاغة الانجيل — القاهرة ١٩٧٦ م .



بولس سباط :

٢٣ — المشرع .

بولس الياس :

٢٤ — يسوع المسيح — الآباء اليسوعيين — بيروت .

توفيق جيد :

٢٥ — سر الأزل .

ج . ر . و . ستوت :

٢٦ — المسيحية الاصيلة (ترجمة) بيروت دار النفير .

ج . قنواتى :

٢٧ — فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية — دار العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٦٧ م .

حمودة غرابة (الدكتور) :

٢٨ — ابن سينا بين الدين والفلسفة — مجمع البحوث الاسلامية — القاهرة ١٩٧٢ م .

رحمت الله الهندى :

٢٩ — اظهار الحق (تحقيق) — دار التراث العربى للطباعة والنشر — القاهرة .

رفقى زاهر (الدكتور) :

٣٠ — قصة الاديان — مكتبة نهضة مصر — ط ١ القاهرة ١٩٨٠

سليمان مظهر :

٣١ — قصة الديانات — دار الوطن العربى — ط ١ — بيروت .

شمس الدين ابى عبد الله محمد بن قيم الجوزيه :

٣٢ — هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى (تحقيق) المكتبة القديمة — ط ٢ القاهرة ١٩٧١ م .

صموئيل مشرقى (القس) :

٣٣ — مصادر الكتاب المقدس — القاهرة ١٩٧٣ م .

عوض سمعان :

٣٤ — الله ثالوث وحدانيته ووحدانية ثالوثه — دار التاليف والنشر للكنيسة الاسقفية — القاهرة ١٩٧٦ م .

٢٥ — قضية الصلب بين الدفاع والمعارضة — دار التاليف والنشر للكنيسة الأسقفية — القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٦ — قيامة المسيح والأدلة على صدقها — دار التاليف والنشر للكنسية الأسقفية ط ٢ — القاهرة ١٩٧٨ م .

٣٧ — الله ذاته ونوع وحدانيته — دار التاليف والنشر للكنيسة الاسقفية — القاهرة ١٩٧٤ م .

٣٨ — الله طرق اعلانه عن ذاته — رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الادنى — القاهرة .

عباس محمود العقاد :

٣٩ — عبقرية المسـيح — دار نهضة مصر للطبع والنشر — ط ٣ القاهرة ١٩٧٣ م .

٤٠ — الله — دار الهلال — القاهرة .

عبد الحليم محمود (الدكتور) :

٤١ — التفكير الفلسفي في الاسلام — مكتبة الانجلو المصرية — ط ٣ — القاهرة ١٩٦٨ م .

عبد الكريم الخطيب :

٤٢ — المسيح في القرآن والانجيل والتوراة — دار الكتب الحديثة — ط ١ القاهرة ١٩٦٦ م .

فؤاد حسنين على (الدكتور) :

٤٣ — التـوراة — القاهرة ١٩٤٦ م .

فتحى عثمان :

٤٤ — مع المسيح فى الاناجيل الاربعة — مكتبة وهبة — القاهرة .

فاندر (الدكتور) :

٤٥ — ميزان الحق (باضافات وتنقيح د . تسدل) — ط ٢ — ١٩٢٢ م .

كيرلس الكبير :

٤٦ — التجسد الالهى — ديرانبا مقار — ط ١ ١٩٧٨ م .

كامل سعفان (الدكتور) :

٤٧ — اليهود تاريخا وعقيدة — دار الهلال — القاهرة ١٩٨١ م .

موريس بوكاى :

٤٨ — دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة — دار المعارف — القاهرة ١٩٧٨ م .

محمد ابو زهرة (الامام) :

٤٩ — محاضرات فى النصرانية — دار الفكر العربى — ط ٥ القاهرة ١٩٧٧ م .

محمد البهى (الدكتور) :

٥٠ — الجانب الالهى من التفكير الاسلامى — مكتبة وهبة — ط٣ القاهرة ١٩٦٢ م .

محمود محمد مزروعة (الدكتور) :

٥١ — دراسات فى الملل والنحل — القاهرة ١٩٧١ م .

محمد مجدى مرجان :

٥٢ — الله واحد أم ثالوث — دار النهضة العربية — القاهرة ١٩٧٢ م .

متى المسكين (الآب) :

٥٣ — الصليب المقدس . دير القديس انبا مقار — ط ٣ — القاهرة ١٩٧٩ م .

هانى رزق (الدكتور) :

٥٤ — يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته — مكتبة المحبة — ط ٢ — القاهرة ١٩٧١ م .

ول ديورانت :

٥٥ — قصة الحضارة (ترجمة محمد بدران) — لجنة التاليف والترجمة والنشر — القاهرة .

و. ت . جردنر :

٥٦ — محاورة فى الوحى — الجمعية الأسقفية — ط ٣ القاهرة .

يس منصور :

٥٧ — رسالة التثليث والتوحيد — ط ٣ — القاهرة ١٩٦٧ م.

يوسف بوست (الدكتور) :

٥٨ - قاموس الكتاب المقدس — بيروت .

٥٩ — لاهوت المسيح — مجمع الاديان — القاهرة ١٩٧٧ م .

٦٠ — مدخل الى الكتاب المقدس — مؤسسة القديس أنطونيوس — القاهرة ١٩٨٠ م .

اختصارات أسفار العهد القديم

١ — سفر التكوين	تك
٢ — سفر الخروج	خر
٣ — سفر اللاويين	لا
٤ — سفر العدد	عد
٥ — سفر التثنية	تث
٦ — سفر يشوع	يش
٧ — سفر القضاء	قض
٨ — سفر ايوب	اى
٩ — سفر المزامير	مز
١٠ — سفر الأمثال	أم
١١ — سفر أشعياء	اش
١٢ — سفر أرمياء	ار
١٣ — سفر حزقيال	حز
١٤ — سفر دانيال	دان
١٥ — سفر هوشع	هو
١٦ — سفر يوئيل	يؤ
١٧ — سفر عاموس	عا
١٨ — سفر عويديا	عو
١٩ — سفر يونان	يون
٢٠ — سفر ميخا	مى
٢١ — سفر ناحوم	نا
٢٢ — سفر حبقوق	حب

٢٣ — سفر صفنيا	صف
٢٤ — سفر زكريا	زك
٢٥ — سفر ملاخى	ملا
٢٦ — سفر أخبار الأيام الأولى	١ خب
٢٧ — سفر اخبار الأيام الثانى	٢ خب
٢٨ — سفر عزرا	عز
٢٩ — سفر نحميا	نح
٣٠ — سفر راعوث	را
٣١ — سفر صموئيل الأول	١ ص
٣٢ — سفر صموئيل الثانى	٢ ص
٣٣ — سفر الملوك الأول	١ مل
٣٤ — سفر الملوك الثانى	٢ مل
٣٥ — سفر استير	ا س
٣٦ — سفر الجامعة	جا
٣٧ — سفر نشيد الانشاد	ن ٠ ن
٣٨ — سفر حجى	حج
٣٩ — سفر مراثى ارميا	م ٠ ا ر

اختصارات أسفار العهد الجديد

١ — انجيل متـى	**مت**
٢ — انجيل مـرقس	**مر**
٣ — انجيل لوقـا	**لو**
٤ — انجيل يوحنـا	**يو**
٥ — اعمال الرسـل	**اع**
٦ — الرسالة الى أهل رومية	**رو**
٧ — الرسالة الأولى الى أهل كرونثوس	**١ كو**
٨ — الرسالة الثانية الى أهل كرونثوس	**٢ كو**
٩ — الرسالة الى أهل غلاطية	**غل**
١٠ — الرسالة الى أهل أفسس	**اف**
١١ — الرسالة الى فيلبـى	**فى**
١٢ — الرسالة الى كولوسى	**كو**
١٣ — الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكى	**١ تس**
١٤ — الرسالة الثانية الى أهل تسالونيكى	**٢ تس**
١٥ — الرسالة الأولى الى تيموثاوس	**١ تى**
١٦ — الرسالة الثانية الى تيموثاوس	**٢ تى**
١٧ — الرسالة الى تيطس	**تى**
١٨ — الرسالة الى فليمون	**فل**
١٩ — الرسالة الى العبرانيين	**عب**
٢٠ — رسالة يعقـوب	**يع**
٢١ — رسالة بطرس الأولى	**١ بط**

الفهــــرس

رقم الايداع ١٩٨٧/٢٠٥٧

مطبعة الفجر الجديد
٣٨ شارع الكبارى - منشية ناصر